النزعتان الشيعية والسلفية فى تصوف
محمد أحمد المهدى السودانى

دكتورا جمال المرزوقى
مدرس الفلسفة الإسلامية
كلية الآداب - جامعة القاهرة - فرع الخرطوم

تمهيد

لم تعمر «المهديه » فى السودان بحساب الزمن الا سنوات قليلة ، بدأت فى أول شعبان ١٢٩٨ هـ بجزيرة «ابا » وانتهت فى « كررى» فى ١٥ ربيع الثانى ١٣٦ ـ ومع ذلك فانها تعد فتره كامله من فترات تاريخ السودان، فكانت منعطفا خطيرا انهت ما كان قبلها ووضعت خطا جديدا، انها فتره حافله بالاحداث الجسام غيرت حال السودان وهى جزء من كيانه المعاصر وآثارها باقيه فيه حتى الآن .

والنظام الذى اختطه «محمد أحمد» – مهدي السودان – نظام دينى بالمعنى الشامل للاسلام فليس هناك – فى رأيه – من الناحية النظرية – حد فاصل بين الدين والدولة ، بل من الواضح أن الدين هو كل شئ ، وهو يجعل النظم السياسية والادارية مجرد أدوات يباشر بها عمله ، ولهذا نجده يرفض أن يكون نظامة نظام دولة بمعزل عن الدين، أو بناءاً سياسيا، أو أن يكون «باشوية أو كسروية – أو قيصرية» كما يقول ، بل هو صريح فى أن الأمر أمر دينى، وأن الدعوة دعوة دينية موجهة لبناء مجتمع مسلم وموجه لأداء أغراض دينية.

ودعوة «محمد احمد» السودانى كثورة دينية صوفيه قد نجحت فى دورها الايجابى في معظم المجالات الاجتماعيه والسياسية، فقد تأثرت بدعوة ابن تيمية وابن عبدالوهاب السلفية، وجسدت آراءهما التى نصت فى جوهرها على العودة الى

القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية ، فهما الحكم الوحيد فى تقرير الحكم الشرعى فلا حلال الا ما حلاه ، ولا حرام الا ماحرماه ، والحق كل الحق فيما قرراهوأثبتاه.

وحين كان القرآن والسنة هما المصدر الوحيد للسلف الصالح من هذه الأمة، والمرجع الوحيد فى شئون الدين والعقيدة، حين كان الأمر كذلك، بقيت عقيدة الأمة نقية قوية، وبقيت صفوفها منحدة متراصة، وعز شأنها دينا ودنيا، وقد حاول «محمد أحمد» بالفعل اقامة نظام اسلامى ستهدفا اقامه مجتمع على نمط مجتمع الرسول (ص) والخلفاءالراشدين، فيه الاحتكام الى القرآن والحديث، وتطورت حركته بالسلبية المنعزله الى الدور الايجابى الحقيقى للتصوف الذى يغيرالمنكر بيده لا بلسانه أو قلبه فقط، وكما يقول :

«لقد أتانى من الحضرتين النبوية، وحضرة الأقطاب سيف وأعلمت أنه لا ينصرعلى معه أحد، وكل ذلك لم أعمل فيه بشئ من نفسى ولا لغرضى وانما هو من الله والى الله». (١)

فأقوى ما فى منشورات «محمد أحمد» - مهدى السودان - دعوته الضخمة الصادقة للجهاد والقوة حماية للحق والعدل ، فالسيف فى رأيه لم يصنع للزينة والتحف وانما (لحماية الحق) ، وهو يحدثنا عن آداب الفروسية والفتـــــوة فى زمان الحـــرب والسلم ، فلا يصح أن يحمل أحد سيفه مباهـيا مغرورا بقوته، أو داعيا الى اخافـة غيره من المسلمـــين وغير المسلمين «فلا يكون سل السيوف الا فى مقتضاه» (٢)

فاعتبر «محمد أحمد» الجهاد فريضة مقدمة عل الحج بالنسبة لكل مومن قادر، وكان تركيزه المستمر عليه تعبيرا عن الطابع العملى الجاد لفكره وسلوكه، وقد ربط بين العلم والعمل، مؤكدا أن العالم الذى لايترجم علمه الى عمل ينسجم معه وينفع الناس انما يكون « كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة» (٣)

وفى خطابه للعلماء الذين عارضوه يتساءل : «ماذا يغنى البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش معطل ! كذلك ماذا يغنى عنكم أن يكون نور العلم فى أفواهكم، وأجوافكم منه وحشة معطلة ! (٤) ويرى أن الدين قد صار على أيدى هؤلاء العلماء متونا وحواشى لاحياة فيها يحفظونها ويرددونها ويستخدمونها فى أغراض الحكام، أما هو فقد ربط الدين بهموم المجتمع وتطلعات الناس فى التحرر والحياة الكريمة، عندما واجه الفساد والظلم والاستبداد، وعلى هذا فقد نهجت دعوته طريقة الجهاد المسلح لتحقيق أهدافها.

وحتى حين يتحدث عن التوكل والعمل، يؤكد أن من لا يتوكل على الله فقد أشرك، كما يدعو الى التواضع عند اقبال النعمة وعدم البطر، وهو يرى أن مقام الصبر عند البلاء أقوى من مقام الشكر على النعمة لأن مقام المحبه الالهية مرتبط بالبلاء، فالله لايبتل الا أحباءه الصابرين كأيوب عليه السلام (٥) (والعطاء فى البلاء اكبر)، وهو يفسر لنا الصلة بين الله والواصلين على أساس اتصال الدعاء والصبر على البلاء، لأن فى هذه الصلة فيض الرحمن. (٦)

وقد أمر « محمد أحمد» بالغاء لقب «درويش»، وهدد كل من يستعمله بمائه جلده . «لأن – والنص له – من نفذ قلبه الى ما عند الله من الخير، وترك مافى الدنيا من الضير، لايسمى درويشا، وانما يسمى عاقلا ومدركا وبصيرا» (٧).

وبهذا الادراك والعقل والبصيرة ، كان يتخذ قراراته ويقول كلمته، كان واسع الثقافة، كثير الخبرة، وقد ظهر كل ذلك واضحا فى كتبه ومنشوراته، وفي تلك الردود الحاسمة التى كان يدافع بها عن مواقفه وتصرفاته.

فمن هو «محمد أحمد » والى أى حد نستطيع أن نتحدث عن النزعتين الشيعية والسلفية فى فكرة الصوفى.

سيرته ومصنفاته وأسلوبه فيها:

يؤرخ لنا عبد المحمود نور الدائم (ت ١٣٣٣ هـ) (٨) - معاصر المهدى وقد تتلمذا معا للشيخ القرشى بن الزين - لحياة محمد أحمد فيقول : (٩) أن محمد أحمد بن عبد الله ولد ليلة السابع والعشرين من رجب سنة ١٢٦٠ هـ - الثانى عشر من أغسطس ١٨٤٤م ، بجزيرة (لبب) بدنقلة بالسودان. وقد أطلق عليه والده اسم (محمد احمد) وظل يعرف بهذا الاسم الى أن جهر بدعوى المهدية فى الثامنه والثلاثين من عمره.

حفظ القرآن الكريم وجوده فى سن مبكرة، وقرأ كثيراً فى محيط العلوم الدينية، وكان كثير النظر فيما يقرأ، وتأثر ببعض المدارس الاسلامة كمدرسة الغزالى، وابن عربي، وابن تيمية، واحمد بن ادريس (١٠) ، ومحمد بن عل السنوسى (١١) وكان لهؤلاء أثر عظيم ف ثقافته واتجاهاته (١٢)

وانضم الى طائفة الشيخ محمد شريف نور الدائم (ت ١٩٠٨م) (١٣) سنة ١٢٧٧ هـ ، وأخذ الطريقة السمانية عليه ، وبذل جهده فى خدمته ومحبته (١٤).

وقد احتل (محمد احمد) مع مضى الوقت مكانة ممتازة فى نفس شيخه (محمد شريف)، وبلغ نفوذه عنده مبلغا عظيما، حتى جعله فى سنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥م خليفة ، ورفع له راية وأذن له بالتجول فى البلاد لاعطاء العهود وقبول المريدين (١٥).

وفى سنة ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨م وقع بين محمد احمد وشيخه (محمد شريف) خلاف عميق تطور الى عداء شديد، وطرد محمد احمد من طائفة الشيخ محمد شريف بعد العلاقة الحميمة التى ربطته بشيخه نحو اثنين وعشرين سنة (١٦).

وواصل محمد أحمد تبعيته للطريقة السمانية بفضل شيخ آخر هو القرشى

ابن الزين مما زاد مسألة خلافه مع أستاذه (محمد شريف) تعقيداً، فقد كانت بين الشيخ القرشى والشيخ محمد شريف منافسة على زعامة الطريقة السمانية،وقد عزز القرشى ذلك بأن زوج (محمد أحمد) ابنته وهيأ ذهنه لفكرة المهدية (١٧).

وهذه التجربة الصوفية التى عاشها (محمد أحمد) امتد أثرها في حياته فهى التى أعطت شخصيته ثقلها التاريخى، وانعكس الفكر الصوفى جلياً فى كل كتاباته وفى منحاه الفكري، وأعطته التجربة الصوفية خبرة بالبلاد اكتسبها من أسفاره المتعددة ،وهذا التجوال هو الذى أخرجه من محيط «التعبد» المنعزل الى الاحتكاك المباشر بالحياة (١٨).

وفى أول شعبان سنة ١٢٩٨ هـ أخطر محمد احمد أصحابه بأن النبى (ص) باشر تنصيبه مهديا ، وأنه كلف بالدعوة الى مهديته، وتوفى ضحى يوم الاثنين ، لثمان خلت من رمضان سنة ١٣٠٢ هـ - الثانى والعشرين من يونيو سنة ١٨٨٥م.

وقد ترك (محمد احمد) مجموعة من المؤلفات تصنف فيما يلى :

اولاً : المراسلات، وأهمها :

١ - الخطاب، وهو مكتوب موجه إلى الأفراد وصغار الأمراء، وتتضمن الخطابات حصيلة عظيمة من المعلومات ذات الطابع التاريخى والتنظيمى

٢ - الرسالة، وتمثل خير مصدر لعلاقات محمد أحمد برجال المجتمع وفئاته.

٣ - المنشور، ويختص بأسس الدعوة ، ومراميها.

ثانياً : أدبيات دينية، وهى قطع تتناول قضايا دينية عامة لايخص بها أنصار

محمد أحمد وحدهم، ومثالها منشور الصلاة، ومنشور حياة الدين الكبرى، ومنشور الصيام ، وقطع كتبها حول بعض الآيات والأحاديث.

ثالثاً : الأدعية والراتب، والدعاء مطلب مهم عند محمد أحمد، وغايته دينية روحية، اذ هو تقرب الى الله وعبادة، وقد كتب محمد احمد المهدى السودان دعاءه بعناية ترتفع الى هذه المستوية، متوخيا سمو المقصد وجمال الأسلوب، ويشتمل راتبه على أيات من القرآن منتقاه بمجموعة من الأدعية، ويتضح منه أثر الصوفية العميق فى فكر محمد احمد الصوفى.

رابعاً : الخطب ، واقتصرت على الناحية الوعظية فى موضوعات كالجهاد والزهد والتقوى والعمل للأخره والصوم، وهى فى مجملها تصب فى التوجه المعنوى والتربوى لأتباعه(١٩).

وجاء أسلوبه فى مصنفاته أسلوبا تقليديا، يرتفع فى أحسن حالاته الى اللغه الفصحى، وينزل أحيانا الى خليط من الفصحى والعامية، وهو يمتاز بالايجابية والمعالجة المباشرة وعدم الاحتفال بالزينة والبهرج والتكلف فى بناء الكلام، وفى كلامه قوة وحرارة تنبعان عن ايمانه العميق. وقد أفادنا الدكتور حسين مؤنس (١٠) بأنه يضع محمد أحمد فى الصف الأول من كتاب العربية فى أواخر القرن الماضي، وانه يمتاز على كتاب عصره فى العالم العربى بحس أدبى واضح ، ويصفه أحد المستشرقين قائلاً : «لاشك أن هذا الرجل قد أوتى أقوى رأس وأصفى بصيرة ذهنية، ويضيف قائلا بأن شكله ليس فيه مايثير الا عندما يبدأ فى الوعظ، وعندها يدرك المرء حقا القوة الكامنة فيه، والتى كانت تدفع بالناس لطاعته، فقد كان يحرك مشاعرهم بكلمات صادقة سريعة (٢١).

ويكثر محمد أحمد الاقتباس من القرآن والحديث، وكان كثير النظر فى

القرآن متأملا فيما يقرأ، وقد كتب رسائل كاملة تعليقا على بعض الآيات، تابع فيها طريقة أهل الباطن فى كونه يؤول الآيات تأويلا يناسب أهدافه.

ومن ذلك تفسيره « الصراط المستقيم» بأنه الصبر على الشدائد ، وإياك نعبد» بأنه قطع الرجاء من أصله . ومنه تعليقه على قوله تعالى : «لا اكراه فى الدين» اذ يذهب الى أن هذه الآية منسوخه فى الظاهر بآية الجهاد وأنها ثابتة فى الباطن. فكان يكره الناس على الانصياع له، وقد كفر المخالفين له ، ويفسر الفتنه فى قوله تعالى : «الفتنة أشد من القتل» بأنها الكفر، وقال عن « اليوم أكملت لكم دينكم» أن فيه الدليل على أن جميع الأحكام تؤخذ من الكتاب لا من فقه ولا من غيره (٢٢).

والآن الى أى حد نستطيع أن نتحدث عن هاتين النزعتن – الشعبية والسلفية – فى تصوف محمد احمد (مهدى السودان)؟

احتلت فكرة «المهدى المنتظر» حيزاً واسعا فى التراث الاسلامى ، والفكرة أساسا شيعية، ولكنها انتشرت على امتداد التاريخ الاسلامى رغم عدم وجود نص قرآنى صريح عن المهدى، ورغم أن الأحاديث النبوية عنه على كثرتها لم ترد فى مصادر الأحاديث المتشددة مثل مسلم والبخارى، وتغلغلت هذه الفكرة فى التراث الصوفى حتى غدت الصوفية - على حد تعبير ابن خلدون – مشبعة بالنظريات الشيعية التى دخلت عميقا فى أفكارهم الدينية. (٢٣).

وفكرة «المهدية» باختصار هى أن الله يرسل فى آخر الزمان رجلا يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وأنه يقيم الدين حنيفا ، ثم يأتى بعده الدجال، ثم يأتى عيسى بن مريم ، وبعده تنتهى الدنيا (٢٤).

هذه باختصار الفكرة، ولكن هناك اختلافات – بين مصدقيها – فى التفاصيل كمكان الظهور أو زمانه، وفى صفاته وأفعاله، فقد ذهبت الفرق الاسلامية فى

«المهدية» مذاهب شتى، وبالتالى تعددت صور المهدية وتباينت شروطها وأهدافها، من ذلك أن بعضهم قال أن المهدى يظهر بمكة، وحدد بعضهم الموضع بما بين الركن والمقام، بينما قال البعض أنه يظهر بالمشرق، بهذا الاطلاق، وزعم آخرون أنه يأتى من ماوراء النهر ويزحف الى مكة، ثم أشاع المغاربة أن ظهوره بالمغرب ، وكان هذا التباين فى التصور لأن هذه الفرق كانت تتصور المهدى أو تحكم به حسب ظروفها المحلية.

ومن الناحيتين الاجتماعيه والسياسية تعتبر «المهدية» مظهر من مظاهر المعارضة للنظم القائمة ، تشتد كلما اشتد الظلم والاضطهاد ، وكانت دائما شعار المضطهدين والمغلوبين على أمرهم.

ومن الغريب أن اكبر المهديين الذين عرفهم تاريخ الاسلام ظهورا فى افريقية، كأنما فى طبيعة الأفارقة نزوع طبيعى الى التعلق بالشخصيات الروحية الغامضة(٢٥)، فقد عرف تاريخ افريقية الاسلامية أكبر مهديين ثلاثة عرفهم تاريخ الإسلام، اولهم عبيد الله المهدى، اول خلفاء الفاطميين فى المغرب، وثانيهم محمد بن تومرت مهدى الموحدين وواضع أساس دولتهم، وثالثهم محمد أحمد بن السيد عبد الله - مهدى السودان - موضوع هذه الدراسة.

وما من قائل بدعوة مهدية الا نجده يلتفت الى سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتسير حركته فى نفس الاتجاه من تمهيد طويل يتكون خلاله الأنصار المختارون، الى الهجرة الى مكان بعيد، الى تنظيم الجماعه تنظيما قريبا من تنظيم الرسول لجماعته فى المدينة، ثم يكون بعد ذلك حتما القيام بالغزوات لتأسيس الدولة، وهذا ما تؤكده دراسة مابين أيدينا من الوثائق عن محمد أحمد مهدى السودان.

ويجمع محمد أحمد بين الشيعية المتطرفة والسلفية، وهذا أمر غريب،لأنه فى الوقت الذى آمن فيه بفكرة ونظرية الامام المعصوم، نراه - سلفيا متشددا ينفذ تعاليم السلفية فى القصاص والسرقة والزنا والحدود الشرعية عامة، ويبطل زيارة القبور والأضرحة والتوسلات وذلك على أساس من تعاليم الوهابية السلفية التى كان قد تأثر بها تأثراً شديداً.

النزعة الشيعية فى تصوف محمد احمد:

يتعرض محمد أحمد الى مناقشة علامات «المهدية»، وقد عالج أمرها باسهاب فى حضرة «التنصيب» ومنشور الدعوة، فيعلن أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أخبره بأنه المهدى المنتظروأنه صلى الله عليه وسلم أجلسه مراراً على كرسيه بعد أن استخلفه نيابه عنه، وأن الخلفاء الأربعة «أبو بكر وعمر وعثمان وعلى «حضروا» «مشهد» تنصيبه مهديا، وكذلك الخضر عليه السلام والأقطاب والأولياء من لدن آدم ، حتى يومنا هذا ، شهدوا هذا الحفل.

يقول :

«من العبد المفتقر الى الله .. محمد المهدى ابن عبد الله الى أحبابه فى الله المؤمنين بالله وكتابه .. أما بعد .. كما أراد الله فى أزله وقضائه، تفضل على عبده الحقير الذليل بالخلافه الكبرى من الله ورسوله، وأخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنى المهدى المنتظر ، وخلفنى بالجلوس على كرسيه مرارا بحضرة الخلفاء الأربعة، والأقطاب، والخضر عليه السلام، وأيدنى تعالى بالملائكة المقربين، وبالأولياء الأحياء والميتين من لدن آدم الى زماننا هذا» (٢٦).

وهو يذهب الى أن « المهدية » لا يكون لها توقيت معين أو مكان خاص تظهر فيه ، وأنها لا تكون بأوصاف مقننة، لأن الأخذ بهذه العلامات يعنى تقييد قدرة الله. وهو فى هذا يتبع ابن عربى وابن ادريس، وفى هذا يقول : (٢٧).

«.. وحيث أن الأمر لله، والمهدية أرادها الله لعبده الحقير الذليل محمد المهدى بن عبد الله فيجب التصديق بذلك لإراده الله . وقد أجمع الخلف والسلف على تفويض العلم لله.. فعلمه سبحانه لايتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفننين ، بل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده علم الكتاب قال تعالى : (ولايحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) (٢٨) (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو) (٢٩) (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٣٠) لاسيما وقد قال الشيخ محى الدين بن العربى فى تفسيره على القرآن العظيم «وعلم المهدى كعلم الساعة والساعة لايعلم وقت مجيئها على الحقيقة الا الله ..»

وقال الشيخ احمد بن ادريس : كذبت فى المهدى أربع عشرة نسخة من نسخ أهل الله ، ثم قال : يخرج من جهة لايعرفونها وعلى حال ينكرونها».

هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فقد حاول محمد أحمد أن يوفق بين سيرته ومسلكه من جهة ، وبين ماهو معروف عن «المهدى المنتظر» كما تصوره المصادر، وقد ذكر بعض علامات المهدى والتى ينسبها لنفسه رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فماذا ينقصه حتى يكون مهديا؟ أنه - وكما نصت منشوراته - عالم وصالح وشريف النسب ينتمى الى الحسن السبط، كما أنه أفرق الثنايا على خده خال، وبينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم شبه فى الاسم وشبه فى اليتم، فاسمه محمد واسم أبيه عبد الله، وقد توفى والده وهو طفل فى الخامسة، كما توفيت أمه وهو فى الحاديه عشرة، استمع اليه يقول: (٣١).

«.. ثم أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن الله جعل على المهدية علامة وهى الخال على خدى الأيمن، وكذلك جعل لى علامة أخرى .. تخرج راية من نور وتكون معى فى حالة الحرب، يحملها عزرائيل عليه السلام، فيثبت بها أصحابى وينزل الرعب فى قلوب أعدائى فلا يلقانى أحد بعداوة الا خذله الله . وليكن

معلومكم انى من نسل رسول الله، فنبى حسنى من جهة أبيه وأمه ، وأمى كذلك من جهة أمها ، وأبوها عباسى، والعلم لله أن لى نسبه الى الحسين».

أضف الى ذلك أن فكرة «المهدى المنتظر» قد وجدت رواجا فى السودان فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وبات الكثيرون ينتظرون ظهور المهدى، وكان من الأسباب الداعية الى ذلك ، الظلم الذى حاق بالناس، وتوافق ذلك مع قرب كمال القرن الهجرى الثالث عشر فهيأ لفكرة امام القرن الذى قيل انه يظهر فى اخر كل قرن هجرى (٣٢).

ويمضى محمد احمد فيؤكد فى دعواه أنه مأمور بالهجرة : «ولما حصل يا أحبابى من الله ورسوله أمر الخلافة الكبرى . أمرنى سيد الوجود بالهجرة الى «ماسة» بجبل قدير ، وأمرنى أن أكاتب بها جميع المكلفين أمرا عاما، والهجرة المذكورة بالدين واجبة كتابا وسنة، قال تعالى : «يا أيها الذين أمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم» (٣٣) . وقال صلى الله عليه وسلم : من فر بدينه من أرض الى أرض ولو شبرا من الأرض فقد استوجب الجنة وكان رفيق أبيه خليل الله ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام » (٣٤).

ويصل محمد أحمد الى أخطر ما فى دعواه حين يحكم بلسان النبى صلى الله عليه وسلم خطأ، بأن من شك فى مهديته فقد كفر، فهو يجعل الايمان بالمهدية ركنا من أركان الايمان فى الاسلام، ويؤكد أنه ليس مخطئا أو مستغرقا فى جذبات السكر حين يزعم هذا ، يقول : (٣٥).

«.. وقد أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم :بأن من شك فى مهديتك فقد كفر بالله ورسوله - كررها صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات - وجميع ماأخبرتكم به من خلافتى على المهدية . فقد أخبرنى به سيد الوجود يقظة فى حال

الصحة خالياً من الموانع الشرعية، لابنوم، ولابجنب، ولا سكر ، ولا جنون، بل متصفا بصفات العقل أقفو أثر رسول الله بالأمر فيما أمر به، والنهى عما نهى عنه».

ولاشك أن فى هذا الاتجاه أثرا شيعيا اسماعيليا ، يتفق تمام الاتفاق مع اتجاه نظرية المهدية الغالية التى تثبت الدعوى على لسان النبى صلى الله عليه وسلم ، وتحكم بلسانه خطأ، بأن من شك فى هذه المهدية فقد كفر.

وقد بدأ محمد أحمد دعوته هذه سراً مع أصدقائه وتلاميذه الكثيرين، فلما هاجمه أستاذه محمد شريف واستعدى عليه أولى الأمر جاهر بدعوته وأعلنها حرباً حتى أيده فى دعوته من لم يؤمن بفكرة المهديه فى وقتها، وهذا مانلاحظة فى قول أحد شيوخ القبائل:

«نبايعك على المهدية وان لم تكن مهدياً ، ونبايعك على قتال الحكومه وخلع طاعتها»(٣٦).

وجاءه الناس من كل مكان يبايعونه، وكان نص المبايعة» الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم، اما بعد فقد بايعنا الله ورسوله، وبايعناك على توحيد الله وألا نشرك به أحد .. وبايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضا بما عند الله والدار الآخرة وعلى ألا نفر من الجهاد» (٣٧).

ويفسر لنا محمد احمد أسس مهديته بقوله أنها تجمع بين أصول الصوفية ويحددها بستة – وأصول المهدية ويحددها بستة أيضا، أما الأولى التى يأخذها من الصوفية فهى : الذل ، والانكسار ، وقلة الطعام، وقلة الشراب، والصبر، وزيارة السادات، وأما الستة التى جاءته مع المهدية فهى :

الحـــرب والحزم والعزم والتوكل علـــى الله ، والاعتماد عليه تعالى، واتفاق القول (٣٨). .

والفكرة من وراء هذا هى القول بأن المهدية أخذت أسس الطرق وأضافت اليها أسسها الذاتية فأصبحت أعلى وأوسع منها ، وهذا يتمشى مع فكرته فى الغاء الطرق والمذاهب فيما بعد ، أى أن المهدية - فى رأيه - أضافت الى صفات الصوفية السلبية صفات القيادة والزعامة الايجابية - وبهذا ينتقل محمد احمد الى الدعاة العاملين، وهذا هو التطور الحاسم فى تاريخه وتاريخ السودان أيضا.

وقد كان لمحى الدين بن عربى (ت٦٣٨هـ) تأثيره الكبير فى تصوف محمد احمد، مهدى السودان، فقد كانت كتبه ومؤلفاته من أكثر الكتب رواجا وانتشارا فى السودان، وكانت «الفتوحات المكية» من أشد هذه الكتب تأثيرا (٣٩).

وقد ذكر ابن عربى فى الجزء الثالث من هذا الكتاب:

أن لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جورا وظلماً، فيملؤها قسطا وعدلا، «ولو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد طول الله ذلك اليوم حتى يلى هذا الخليفة من عترة رسول الله من ولد فاطمة يشبه اسمه اسم رسول الله (٤٠). وأن لهذا الخليفة ملكا يسدده من حيث لا يراه، يبعد الظلم وأهله، ويقيم الدين ويدعو الى الله بالسيف فمن أبى قتل، ومن نازعه خذل (٤١) . يرفع المذاهب من الأرض.. أعداؤه مقلده العلماء لما يرونه من الحكم بخلاف ما، ذهب اليه أئمتم .. يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف الهى .. فشهداؤه خير الشهداء، أمناؤه أفضل الأمناء، يعرف من الله قدر ما تحتاج اليه مرتبته لأنه خليفة مسدد يفهم منطق الحيوان، ويسرى عدله على الانس والجان من أسرار علم وزرائه الذين استوزرهم الله له.

وهم ، أى الوزراء، أو الخلفاء على أقدام رجال من الصحابة قواما عاهدوا الله عليه (٤٢) . وهو أعلم الخلق بالله ولايكون فى زمانه، ولا بعد زمانه أعلم بالله منه . فهو والقرآن اخوان.. كما أن السيف والمهدى اخوان (٤٣) . والمهدى حجة الله على اهل زمانه وهى درجة الأنبياء. والمهدى لايخطئ لأنه يقفوا أثر رسول الله (٤٤) ، وما يحكم الا بما يلقى اليه الملك من عند الله الذى بعثه اليه ليسدده فعرفنا بذلك أنه معصوم (٤٥).

وابن عربى متبحر فى آراء الشيعة، نقل آراءهم وأقوالهم، وضمن كتابه «الفتوحات المكية» الكثير منها فى صورة صوفية، وعلى يديه تطورت فكرة «المهدية» وأخذت أبعادا جديدة لأنه مزج بينها وبين أفكار الشيعة وتصورات الصوفية وعرضها فى شكل دولة الأولياء، تقوم على القطب والأبدال والأوتاد وغيرهم (٤٦).

والشيعة لغة هم الصحب والأتباع، وفى عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف هم أتباع على وبنيه (٤٧) ويقول الشهر ستانى معرفاً بهم.

«الشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بامامته وخلافته نصاً ووصاية، إما جلياً وإما خفياً ، وأعتقدوا أن الامامة لاتخرج من أولاده» (٤٨).

والأئمة هم أركان الأرض أن تميد بأهلها.. وحجته البالغة على من فوق الأرض أو تحت الثرى .. والملائكة تدخل بيوت الأئمة وتأتيهم بالأخبار، وهم - الأئمة - معصومون من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمدا ولا نسيانا ولا سهوا ولاغير ذلك » (٤٩).

والامام بهذا المعنى يوحى اليه، والله أعظم من أن يترك الأرض بغير امام عادل، ان زاد المؤمنون شيئا ردهم، وان نقصوا شيئا أتمه لهم وهو حجة على

عباده، ولا تبقى الأرض بغير امام، ولو لم يبق فى الأرض الا رجلان لكان أحدهما الحجة» (٥٠).

ومعروف أن علماء السنة والشيعة قد اتفقوا على وجوب قيام الامامة، وان اختلفوا فى كيفية قيامها، فالنظرة السنية للخلافة نظرة نابعة من الأمة التى يجب عليها اختيار أصلح الناس لقيادتها، أما النظرة الشيعية فتختلف، فهم، (الشيعة)، يرون أن « اثبات الامامة باختيار الناس يفضى الى الفتنة، اذ يحدث الاختلاف بين الناس لأسباب كثيرة، فرفع أسباب هذا النزاع انما يكون بتعيين الامام من الله، اى بنص الشرع لطفا من الله بعباده ورحمة بهم »(٥١) ، وهم ، (الشيعة) ، يرون أن فعل اللطف واجب على الله تعالى - وهى فكرة اعتزالية متفرعة من القول بوجوب فعل الصلاح على الله - وقد نقل الرازى عن أحد أئمتهم أنه قال :

«اعلم أن مرادنا من اللطف الأمر الذى علم الله تعالى من حال المكلف أنه متى وجد ذلك الأمر كان حاله الى قبول الطاعات والاحتراز عن المعاصى أقرب اذا لم يوجد ذلك الأمر» (٥٢).

ومن ثم فانهم كونوا القياس الذى يستدلون به على مذهبهم على هذا النحو:

قالوا : بما أن فعل اللطف واجب على الله ، وبما أن الامامة لطف فاقامتها اذن واجب على الله، لأننا نحتاج الى الامام ليكون «لطفا» فى أداء الواجبات العقلية، والاجتناب عن القبائح العقلية، وليكون حافظا للدين عن النقصان والزيادة، وهذا مذهب الامامة الاثنا عشرية.

وقالوا : ان الشريعة التى جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم لابد من وصولها صحيحة الى الناس بعد عهده ليحصل عليهم التكليف، فلابد لها من حافظ يحفظها من التغير .. ولابد أن يكون هذا الحافظ والناقل غير جائز عليه الخطأ والا

لكان وصول الشريعة غير متحقق. فالامام يجب أن يكون واجب العصمة، وأن يكون أفضل الخلق كلهم . وأن يكون أعلم الأمة، وأنه لو جاز الخطأ على الامام لثبت أن الله أمر باتباع الذنب، لو المعصية وهو غير جائز على الله (٥٣).

وعند الشيعة، الامام نائب عن الله، ونائب عن رسوله، ونيابة الغير لاتحصل الا باذن ذلك الغير، فوجب ألا يثبت الامام الا بنص الله ، ونص رسوله، فثبت أن الامامة لا تثبت الا بالنص (٥٤).

لقد أخذ ابن عربى عن الشيعة هذه الأفكار والمفاهيم ونقلها محمد احمد عنه فى فترة مبكرة من التلقى والتعليم، وكان فهمه «للمهدية» تجسيداً للمعنى الذى أشار اليه ابن عربى فى مؤلفاته (٥٥)، وبالرغم من أنه قد ألغى الطرق الصوفية، واعتبر كلمة درويش جريمة يعاقب قائلها بأشد العقوبه، الا أننا سنجد أن هذا الأساس الصوفى الذى قامت عليه دعوة محمد احمد ظل ملازما له طوال حياته، وبقى كامناً فى عقله الى آخر عمره، وكان يلجأ اليه أحيانا فى محاججة أعدائه وخصومه.

ايقاف العمل بالمذاهب والغاء الطرق:

وحيث أنه «المهدى المنتظر» ، امام القرن وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذى يجدد الاسلام ويرفع المذاهب والطرق، ويعود الى الأصل، الى الكتاب والسنة، فقد أعلن محمد أحمد ، مهدى السودان، ايقاف العمل بالمذاهب، حتى المذاهب الأربعة، مذاهب الأئمة مالك، وأبى حنيفة، وابن حنبل، والشافعى، واذابة جميع الطرق الصوفية بكل طوائفها فى طريقته ، وأصبح هو المرجع ، وعليه الاعتماد الكلى، وليس التعلق بالأئمة وشيوخ الطرق .. ورأى أن تعدد الكتب والمذاهب أدى الى اختلاط أمر الدين على الناس وأحدث بلبلة فى عقولهم، فأمر

باحراق كل الكتب الا الكتاب الكريم والحديث الصحيح، ووضع حظرا شديدا على النشاط الفكرى، ومنع تداول الكتب الا مايجيزه.

وبين أيدينا نصوص كثيرة حول الغاء الطرق وايقاف العمل بالمذاهب:

وقد جاءت الاشارة الأولى لاتجاهه هذا فى خطاب منه الى الشيخ محمد الأمين الهندى (٥٦) اشترط عليه فيه عدم التعلق بالأئمة والاعتماد على الكتاب والسنة (٥٧)، وفى خطابه الى جماعة المنه اسماعيل يأخذ عليهم احتجاجهم بما فى الكتب القديمة مع أنها منسوخة (٥٨) ، ويقول فى خطاب الى أهالى فاس أنه يشترط العمل بالكتاب والسنة فقط، وترك المذاهب وآراء الشيوخ (٥٩) ، ويؤكد فى خطاب الى أحمد حمدان العركى، وهو من رجال الدين المهمين، ترك الكتب القديمة والتصانيف التى أشار اليها فى خطابه ، ويحدد له الاعتماد على القرآن والحديث والسير المعتمدة دون غيرها (٦٠).

كما نجده يؤكد فى خطاب الى أحد مريديه أنه نسخ جميع الكتب من فقه وتوحيد ماعدا القرآن والحديث الصحيح ،لأن جميع الكتب المذكورة مصدرها القرآن العظيم ، وحيث أنه محدد لما اندس من السنة وتفسير القرآن على الوجه الذى جاء به، فيلزمهم الاقتداء به (٦١).

وقد تعرض خليفته (٦٢) لهذا الأمر فى خطاب نورد بعض فقرات لأهميته:

«.. معلوم عندكم وعند جميع أهل البصائر أن الامام المهدى على نور من الله وتأييد من رسول الله، وموعود أنه يرفع المذاهب ويطهر الأرض من الخلاف ويعمل بالسنة حتى لايبقى الا الدين الخالص بحيث لو كان رسول الله موجوداً لأقره على جميع أفعاله لأنه صلى الله عليه وسلم قال فى حقه : يقفو أثرى لايخطئ»

«وحيث كان الأمر كذلك فيا اخواننا تنبهوا وافتحوا عيون قلوبكم وتقفوا من جمـــيع الطرق ونبهوا اخوانكم بذلك وتوسلوا جميعا بهذا الامام المهدى عليه السلام فقـــط، واعملوا بالنسبة النبوية وعضوا عليها بالنواجد، وهى طريقة لا غيرها، وهى عمـــل بها، فانكم ان احسنتم الاقتداء به فى العمل بها لاشك أن تصلوا الى الله» (٦٣)

والزم محمد أحمد ، مهدى السودان، اتباعه بأن يسيروا على الوجه الذى يبغيه، وأن يأخذوا بتفاسيره وبما وضعه فى منشوراته من الآراء والتوجيهات والنظم ، وقد تمكن حقيقة من أن يوجه الفكر والثقافة الى النحو الذى أراده وأن يصبغه بصبغته الخاصة، وقد كان أثر ذلك سيئا على الفكر وصارت الكتابة مغامرة كبرى، ومما زاد الأمر استفحالا العداوة التى قامت بين محمد أحمد ، مهدى السودان، وبين العلماء والهجوم القاسى عليهم وعلى معارفهم ثم محاولة وقف التيار القديم ووضع تيار جديد.

فالعلماء ، فى رأيه، «ينكرون كثيرا من أمور المهدية لأنه ليس من معتقدهم الذى يظنونه ولأنه يخالف مذهبهم» (٦٤) « اذ المهدية أمرها باطن لايصل الى معرفته العلماء من اهل الظاهر. فالأمر كله بارادة الله، والأديان لا تنفع المنكر الجاحد واظهارها انما يكون بارادة الله تعالى لابتمنى العباد «، «والعلماء زمانهم ولى ولكل زمان رجال» (٦٥).

ويبين فساد قلوبهم ، بينما يخرجون الحكم من أفواههم، ويقرر أنهم أفسدوا آخرتهم بدنياهم وأنهم يضللون الخلق لأغراضهم الدنيوية، يقول:

«ياعلماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون وتدرسون مالا تفعلون فما سوء ما تحكمون، تتوبون بالقول والأمانى وتعملون بالهوى مايغنى عنكم أن تتقوا

جلودكم وقلوبكم نسة.. ياعلماء السؤ كيف يدرك الآخره من لاتنقصني من الدنيا شهوته ولا تنقطع عنها رغبته » (٦٦).

فهو يأخذ عليهم أنهم عاونوا على فرقة الناس نتيجة اختلافاتهم وأنهم كانوا محلية للحكام، وسكتوا عن الحق وتهاونوا في أمور الدين وقبلوا بالأحكام الوضعية، وانهم انشغلوا بالدنيا ونعمها، ولما جاء هو ليقيم الاسلام الصحيح انحاز بعضهم الى الحكومة حفاظاً على وظائفهم ومقامهم الاجتماعي بدلاً من أن ينضموا اليه لاقامة الدين فكان لهم دور الضال والمضل.

فلما ثار عليه أحد العلماء وقال له :

«معلوم أن المذاهب أربعة الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي ، فما هو مذهب المهدي؟ فقال له : هؤلاء الأئمة جزاهم الله قد درجوا الناس، ووصلوهم الينا كمثل الرواية ، وصلت الماء من منهل الى منهل حتى وصلت صاحبها البحر، فجزاهم الله خيرا. فهم رجال ونحن رجال، ولو أدركونا لاتبعونا، وأن مذهبنا الكتاب والسنة والتوكل على الله ، وقد طرحنا العمل بالمذاهب ورأى المشايخ» (٦٧).

وهو في منشور آخر يؤكد هذه الدعوى ويفسرها بقوله : (٦٨).

«لو فرضنا أن كل قبيلة حفرت تمده (٦٩) لتشرب منها، واعتادت أن تشرب منها زمنا طويلا، فجاء البحر وغطاها كلها فماذا يفعلون بها؟ أيكتفون بأن يشربوا من البحر وأن يحثوا وراء تمدهم ليشربوا منهم. فلجابوه اذ بحثوا عن التمد فلن يجدوها لأنه سيكون قد عمها البحر والنيل وصارت جزءا منه، فقال لهم هكذا الحال الآن.

وبهذا اعتبر محمد احمد نفسه هو البحر، وما كان قبله من مذاهب دينية فقهية صوفية مجرد قنوات صغيرة، وهكذا أعلن ابطال تقليد الأئمة الأربعة

وتأسيسهم، وأخذ يكتب المنشورات التي تتضمن كثيرا من أحكام العبادات والمعاملات (٧٠).

ودور العلماء في رأيه أنهم حافظوا على الدين وخدموه حتى أوصلوه اليه، ومعنى ذلك أن دورهم ينتهي بأن يكونوا تابعين اليه ومعاونين له ، وبالنسبة الى اجتهادات رجال المذاهب فانه يرى أنهم كانوا رجالا في أزمانهم وأنه رجل هذا الزمان منهم كانوا رجالاً ونحن رجال ولكل زمان حال ولكل مقام مقال. فالاجتهاد اجتهاد حتى يصل الأمر اليه ومن بعده لايكون الا التابع له.

ان باب الاجتهاد الذي فتح له على مصراعيه لم يفتح لغيره، وقد أصبح دور العلماء هو الاقتداء به لا الاجتهاد، هكذا طالب محمد احمد في كتبه صراحة. ومعنى ذلك عندما أمر بترك الكتب القديمة دعا العلماء الى العودة الى الكتاب والسنة لاستنباط الأحكام ويكون بذلك دعاهم الى الاجتهاد، ولكن لم يكن مأمونا لهم أن يجتهدوا أو أن يقولوا في أمر قولاً إلا اذا دخل في حدود ضيقة لخوفهم من الوقوع في الخطأ وانتزعت السلطة من ثقافة العلماء وتوجههم، بل من الواضح أنه حتى في أمور الفقه العامية وأداء العبادات كان المعاونون يستفتون محمد احمد – المهدي – قبل أن يقولوا رأيا.

ونتيجة لذلك حصر محمد أحمد النشاط الفكري في وجهة واحدة هي تمجيد المهدي والمهدية، وكان ذلك بالأخص في مجال الشعر والتاريخ، والى نقل آثار المهدي والتعريف بها ، فقد وجه (محمد احمد) قدراً من العناية الى الشعر لما لذلك من أثر في النفوس ووجد الحماس في قلوب الأتباع والرهبة في قلوب الأعداء وليس بين أدوات الفن ماهو أسرع تأثيراً في النفوس وأوسع سرياناً بين الناس من الشعر، ويثير الشعر عنده ما كان يثير الحماس، ومايحمل الموعظة الحسنة، أي أن الشعر عنده يرتبط بالجهاد من جهة وبالتربية الدينية من جهة أخرى.

وبالنسبة للتاريخ فقد تحمس له أتباع محمد أحمد، وركزوا على سيرة المهدى وانتصارات المهدية.

وبالاتجاه الذى اختطه محمد أحمد ازاء الطرق الصوفية والعلماء ومجمل التراث - وجاراه فيه خليفته ، وبصرامة أكثر، - أعطى لنفسه الحرية فى التشريع ووضع الأنظمة، وأجاز لنفسه أن يعمل بمعزل عن التراث الذى تركه المسلمون ، ماعدا القرآن والحديث ، ولكن ماهو البديل للتراث وجهد العلماء؟ انه حجية المهدى، وماهى هذه الحجية؟ انها - وكما يزعم - التلقى المباشر عن الرسول ، وفى حالات عن الله سبحانه وتعالى، الأمر الذى يجعله قادراً على الوصول الى الحكم الصائب، ولهذا قال أتباعه أنه معصوم عن الخطأ ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان حياً لما أصدر الا هذا الذى يصدره المهدى (٧١)، وقد ذهب بعض المتطرفين الى أن منشورات المهدى من كلام الله وأنها عمل مقدس (٧٢).

وماهو مستند هذه الحجية؟ هو كونه «المهدى المنتظر» الذى يكون على يده احياء الدين واقامته على ماكان فى عهد الرسول . (٧٣).

ولكن من الملاحظ، رغم انه قد ألغى الطرق والمذاهب، أنه تأثر كثيرا بالمذهب الشافعى فى العبادات ، وبالمذهب المالكى فى الأحكام والحنبلى فى التوحيد المطلق والتشدد فى العقوبات ورفض كرامات الأولياء، ولقد أسعفته فى كل هذا معرفته الواسعة بالفقه وتمكنه من القرآن والحديث، وعليه لاينبغى أن ننسى حقيقة أساسية كانت تفرض نفسها أبدا، وهى أن محمد أحمد كان سلفياً مغرقاً فى السلفية، وأنه يرى فى مجتمع الرسول والراشدين المجتمع المثالى، وأن ماوقع فى حياة المسلمين ودفعهم الى ما تردوا اليه من سوء ، مرده الابتعاد عن ذلك المجتمع المثالى، وبالتالى فان الهدف ينبغى أن يكون العودة الى ذلك المجتمع والعيش كما عاش.

«النزعة السلفية» في تصوف محمد احمد :

يقصد بتسمية (السلفية والسلفيون) أولئك القوم الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري، وكانوا من الحنابلة الذين تقوم آراؤهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل الذي أحيا عقيدة السلف، وكان متشدداً في الالتزام بالنص الذي جاء به القرآن ،ومما ورد صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تجدد ظهورهم في القرن السابع الهجري بقيادة شيخ الاسلام ابن تيمية (ت٧٢٨ هـ) ، ثم بعثت هذه الحركة من جديد في القرن الثاني عشر الهجري على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ) في شبه الجزيره العربية.

وقد رفض ابن تيمية المذاهب التي كانت موجوده في عصره والتي حاول أصحابها فهم العقائد الاسلامية (٧٤) لأن منهاج السلف ليس واحدا منها، بل هو غيرها، لأن العقائد لاتؤخذ الا من النصوص ، ولا تؤخذ أدلتها الا من النصوص، وينتهي ابن تيمية الى أنه لاسبيل لمعرفة العقيدة عند السلف، وكل مايتصل بها اجمالاً وتفصيلاً واعتقاداً واستدلالاً الا من القرآن والسنة (٧٥).

وكانت أهم مسأله شغلته هي مسأله التوحيد، والوحدانية في العبادة معناها ألا يتجه العبد في العبادة الى ماسوى الله، وذلك يقتضي أمرين : ألا يعبد الا الله وحده، وأن يعبده بما شرعه تعالى على لسان نبيه، وهذان هما حقيقه قولنا : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله. (٧٦).

وقد بين الله تعالى هذا التوحيد في كتابه، وحسم مراد الاشراك به حتى لايخاف أحد غير الله، ولا يرجو سواه، ولا يتوكل الا عليه، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق هذا التوحيد لأمته حين قال لهم:

«لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ماشاء الله ثم ماشاء محمد،

وقال لرجل قال له : ماشاء الله وشئت : أجعلتنى لله نداً ؟ وقال : من حلف بغير الله فقد أشرك» (٧٧).

ومادام الله سبحانه هو المستحق للعبادة، وهو وحدة المتفرد بالربوبية، وهووحده مالك الأمر فى الدنيا والآخرة، فانه لاينبغى لأحد أن يتوسل اليه بغيره، أو يوسط بينه وبينه أحدا من خلقه ، أو يستغيث بأحد من أنبيائه وأوليائه بعد موته، فمن أثبت وسائط بين الله وخلقه كالوسائط التى تكون بين الملوك والرعيه فهو مشرك (٧٨).

وهو تبارك وتعالى ليس له عون ولا ظهر من المخلوقين، فقطع سبحانه تعلق القلوب بالمخلوقات رغبة وعبادة واستغاثه (٧٩) ، كما أنه لايجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشايخ الغائبين والميتين لأحد ذلك كله شرك (٨٠).

فشهادتنا «أن لا اله الا الله» تقتضى ألا نعبد غيره، وشهادتنا «أن محمداً رسول الله» تقتضى أن مهمة الرسالة تبيان الطريقة المرضية لله فى عبادته، وأن الخروج عن هذه الطريقة يتنافى مع هذه الشهادة بل ينقضها (٨١).

ولم يقف ابن تيمية عند هذا الحد، فقد دعا الى فتح باب الاجتهاد، كما حارب الجمود والتقليد والتعصب.

وقد لقيت دعوة ابن تيمية خير تعبير عنها فى حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التى لم تكن فى جوهرها الا احياء لتعاليم ابن تيمية وصورة جديدة لأقواله وفكره (٨٢)، وهى لم تزد بالنسبة للعقائد شيئا عما جاء به ابن تيمية، الا أنها تشددت فى أمورٍ لم تكن شائعة فى عصره (٨٣).

ولم تقتصر حركة ابن عبد الوهاب على الدعوة المجردة، بل عمدت الى السيف لمحاربة المخالفين لها باعتبار أنها تحارب البدع فهى منكر تجب ازالته.

ومهما يكن قول المؤرخين والفقهاء فيها، فانها فى الحق - وكما يقول اقبال (٨٤) - كانت « أول نبضات الحياة فى الاسلام الحديث، ومصدر الهام بصفة

مباشرة، أو غير مباشرة لمعظم الحركات الاسلامية الكبرى فى آسيا وافريقيا».

وأثرت دعوة ابن عبد الوهاب السلفية فى «مهدى السودان» عن طريق حركة الجهاد الفلانى التي قام بها الشيخ عثمان دان فوديو فى نيجيريا (٨٦) ، التى بشرت بقرب ظهور المهدى المنتظر بالمشرق، وأن أتباع الشيخ عثمان هم أبكار أتباع المهدى (٨٧).

وبين أيدينا كثرة من النصوص لمحمد أحمد تؤكد عمق هذا الأثر السلفى فى تصوفه.

يقول فى واحدٍ من منشوراته:

«من العبد المفتقر الى الله محمد المهدى بن عبد الله الى كافة أحبابه وأتباعه على سكة رسول الله، ياأحبابى : كل من نظر الى شئ دون الله، وأثر فى قلبه أنه ينفع أو يضر فقد أشرك فى الحقيقه.اذ أن كل ماسوى الله باطل.

ومن كان يوحد الله، ويرجو لقاءه تعالى، لا يميل الى شئ دون الله فيطمئن به، فيصرفه عن الله، ويكون ممن خسر دنياه وآخرته، لأن منفعة الغير التى يراها من غير حقيقة تصد قلبه عن التمسك بالله، فيتمسك بذلك الغير، فيكون مقطوعاً عن الله، فمن اعتمد على شئ دون الله، وفرح به، فقد جهل، وكذلك من رجا شيئاً من دون الله ، فقد تفخر بالعدم، وتمسكه بالغير يكون حجابا له عن الله، وكفراً بنعمته تعالى، لأن الله هو المحيى والرزاق والمغيث والمعز لاغيره، فمن نسب الى غيره عطاء أو منعا أو نفعا أو ضرا، فقد ظلم بوضع الشئ فى غير موضعه، ونسب نعمة لغير من أنعم بها» (٨٨).

هل قال ابن تيمية وابن عبد الوهاب غير هذا ؟ ان هذا المنشور تجسيد حى لأقوالهما فى التوحيد، وافراد الله بالعبودية.

ويؤكد محمد أحمد ماذهب اليه فى أنه لاسبيل الى السلامة والنجاة عند الله الا باتباع دينه، دين الاسلام الذى جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ونزل به القرآن العظيم من الملك العلام ، ويبين أن سعى المرء ينبغى أن يكون للدين الخالص، وأن السعى لغيره فيه الخسران، وكيف أن التعلق بالجاه يعوق عن الدين، ويبين سرعة زوال الدنيا، وجدوى العمل للآخره ، ففى رسالة وجهها الى «العقلاء الكرام» يقول : (٨٩).

«لايخفى عزيز علمكم أن ماسوى الله هباء، وكل ما فى الدنيا زوال، وما للعبد الا العمل الصالح الموافق للسنة، وما سوى ذلك معود للحسرة والندامة، وأنه لاسعادة للعبد الا فى الدين الخالص الموافق للكتاب والسنة، فمن كان مهتماً بايمانه ودينه، شفيقا على أمر ربه أجاب الدعوة واجتمع معنا للمعاونة على تقويم الكتاب والسنة. ومن كان له جاه ورياسة، وانقاد للحق، وانخلع عن جاهه ورياسته لله وانقياده على الدين الخالص ، عوضه الله خيراً منه. قال صلى الله عليه وسلم : «انك لن تجد فقد شئ تركته لله «أى لم تجد له ألما ولاهما. وقال تعالى : «ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم. ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل عليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» (٩٠).

وفى انذاره الذى وجهه الى خديوى مصر، يقول :

«لايخفى على من نور الله بصيرته، وشرح صدره أن الدين الذى يكون التمسك به ناجياً عند الله هو دين الاسلام الذى جاءنا به نبينا محمد ونزل به القرآن من الملك العلام، قال تعالى : «ان الدين عند الله الاسلام» (٩١) وقال تعالى : «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه» (٩٢) وماسوى ذلك من الأديان فضلال يدعو اليه الشيطان حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

ومن منحه الله عقلا يوازى به بين الخبيث والطيب، لاينبغى له أن يصرفه الا فيما ينتج خلاصه عند الله يوم تزل الأقدام، ويشيب الطفل، ويشتد الزحام، والا كان أسوء حالا من البهائم حيث أضاع حكمة تركيب العقل فيه، ولاسبيل الى السلامة عند الله الا باتباع دينه، واحياء سنة نبيه وأمته، واماته ماحدث من البدع والضلال، والانابة اليه تعالى فى كل الأحوال» (٩٣).

ويؤكد على أنه يرغب فى الله، وأنه يعمل لآخرته دون نظر الى متاع الدنيا. «واست فى ذلك ب (محتال) ولا اريد ملكا ولا مالا ولا جاها، وانما أنا عبد أحب المسكنة والمساكين، وأكره الفخر وتفخر السلاطين لما جبلوا عليه من حب الجاه والمال والبنين ، وهذا هو الذى صدهم عن صلاحهم، وأخذ نصيبهم من ربهم، فأخذوا الفانى، وتركوا الباقى، ولم يسمعوا قول الله ورسوله» (٩٤).

ونجده يحث أتباعه على الاعتماد على الله تعالى دون الخلق، ويطلب منهم ألا يستعين أحد بمخلوق فى أداء حاجة لأن الله هو القائم بأمور خلقه، وأنه تعالى هو المتكفل بهم، استمع اليه يقول :

«لاتستغيثوا بأحد دون الله، ولاتطلبوا أحدا دون الله ولو نبيا رسولا، أو ملكا. فجميع الأنبياء والمرسلين دعوا الى وحدانية الله. فلا تتوهموا وتنسبوا الى رجل صالح شيئا، أو تطلبوا منه شيئا، فان ماسوى الله يقطع النظر عن الله تعالى: قال تعالى: (وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو) (٩٥) . وقال تعالى : (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده) (٩٦). فلا تشركوا بالله شيئا، ورعوا حق الله فى حرمته» (٩٧).

ونحن واحدون فى هذه الرسالة تجسيداً آخر لتعاليم ابن تيمية وابن عبد الوهاب فى منع الاستغاثة بغير الله، والأينسب أحد أويتوهم أو يطلب من رجل

صالح شيئاً، واعتبار أى عمل من هذه الأعمال شركاً، نفس الآراء والأحكام، وتكاد الألفاظ والعبارات أن تكون واحدة (٩٨)

وجانب آخر يؤكد هذه النزعة السلفية فى تصوف، مهدى السودان، نجده فى تحذيره أتباعه من الحلف بغير الله، لأن كل مؤمن مصدق بوحدانية الله لايحلف بغيره، وفى هذا يقول:

«اعملوا أن العظمة لله، فلا تحلفوا بشئ دون الله فيجرى الحلف فى غير موضعه، وتقليل الحلف بالله خير، لأن من أعتاد ذلك يقع فى حلف بكذب ، فيقع فى اليمين الغموس التى تقذف صاحبها فى النار» (٩٩).

وفى احدى الغزوات، التقى محمد أحمد بشخص يسمى «عبد النبى» فغير اسمه الى « عبد البارى» (١٠٠)، وهى فكرة سلفية أخذ بها الوهابيون، فقد نص محمد بن عبد الوهاب على تحريم التسمية بالعبودية لغير الله، وتحريم كل اسم معبد لغير الله، لأن هذا من الشرك وان جاز فى تسمية لم تقصد حقيقتها (١٠١).

وقد سئل محمد أحمد عن حكم الدين فى التمائم التى تستعمل للاستعاذه من السقم والعين ونحوه ، فقال :

«هذا ليس مذهبنا، وانما مذهبنا التوكل على الله ، حيث انه النافع والضار، وناصية كل شئ بيده، بل لايخرج عن قدرته فلته خاطر ولا لفتة ناظر، فينبغى لمن كان تابعا لنا أن يسلك طريقنا، ويتوكل على الله وحده، ولا يلتفت الى غير لا وجود له «(١٠٢).

وفى ذلك يقول محمد بن عبد الوهاب : (١٠٣).

«فى الصحيح عن ابى بشير الأنصارى أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره فأرسل رسولاً ألا يبقين فى رقبة بعير قلادة من وتر،

وعن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله يقول : «ان الرقى ، والتمائم والتولة شرك» (١٠٤).

ونمضى مع النصوص التى بين أيدينا لنرى الى أى مدى كانت أقوال مهدى السودان مطابقة لسلفية ابن تيمية وابن عبد الوهاب، فقد رفض الرقص والغناء ، وقد كان خلافه مع شيخه محمد شريف بسبب ما رأى عنده منهما، وقال لاصحابه وهو يهم بالانصراف : «انه لاينبغى لأحد ، وان كان شيخ طريقة، أن يبيح الرقص والغناء» (١٠٥) لأن هذا اتباع للهوى الذى نهى عنه الله، (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) (١٠٦)، ولهذا يميل هؤلاء، فى رأى ابن تيمية، ويغرمون بسماع الشعر والأصوات التى تهيج المحبه المطلقه من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة، وماكان عليه سلف الأمة، والمخالف لما بعث الله به رسوله لايكون متبعا لدين شرعه الله أبدا (١٠٧).

فمحمد أحمد ، بالرغم من نشأته الصوفية (١٠٨)، كان يحمل فى عقله بذور السلفية، فلم يكن غريبا اذا أن يوجه الى أتباعه رسالة يحثهم فيها على الارتقاء بأفكارهم وجوارحهم عن الملاهى الدنيوية، وأن يشغلوا أنفسهم بالذكر والتفكر فى الله تعالى أملا فى نعيم الآخرة، وينتهى الى تحريم استعمال «المعازيف والدلاليك» وكل أدوات الطرب الا فى استدعاء الجيش الى الجهاد وفي هذا يقول:

«امتنعوا عن الملاهى، فان بذكر الله تطيب الدنيا لا بالملاهى والمعازيف والدلاليك (١٠٩) «والنحاس لايضرب الا فى وقت الحاجه اليه فى استدعاء الجيش الى الجهاد ولاسماع البعيد ليحضر» (١١٠).

تعقيب:

وبعد هذه القراءة فى وثائق محمد احمد، مهدى السودان، وبيان تأثره بالنزعتين الشيعية والسلفية، وجمعه الغريب بينهما فى تصوفه، لنا بعض الملاحظات

اولاً : هل كان محمد أحمد هو المهدي المنتظر حقا؟ ان «المهدى المنتظر» كما تصفه الأحاديث، يملأالأرض عدلا، بعد أن ملئت جورا وظلما، ويولد من نسل فاطمة، من ولد الحسن أو الحسين، ويخرج وعلى رأسه ملك ينادى : ان هذا هو المهدى فاتبعوه، ويكون لمهديته آيتان لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض، يخسف القمر فى أول ليلة من رمضان، وتكسف الشمس فى النصف منه، مولده فى المدينة، ومهاجرته بيت المقدس، ويبايع بين الركن والمقام، وتفتح على يديه مدينة القسطنطينية وغيرها من المدن الكبرى (١١١).

هل تحقق شئ من ذلك ؟ لنستمع أولا الى مايقوله محمد أحمد :

«لقد ذكر فى حضرة من حضراته: أن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب من عزرائيل قائلا: من هذه الليلة اصحب المهدى لاتفارقه ، وهذه الليلة المذكورة – التى حصلت فيها هذه الحضرة – غرة شعبان ١٢٩٨ هـ ليلة الأربعاء – ثم تلى لنا النبى، كما يقول محمد أحمد، جميع الأحوال الى دخول مكة ومنازعة أهلها ومبايعة الضعفاء والغرباء أولا، ثم مبايعة الشريف ملك مكة وجميع أشرافها معه (١١٢).

ويقول فى رسالته الى خديو مصر : (١١٣)

«ويشرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بالنصر على مايعادينى، وبأن من يقصدنى بعداوه يخذله الله فى الدارين، وقلدنى سيف النصر، وأخبرنى بأنى أملك جميع الأرض».

«وها أنا قادم اليك بجنود الله عن قريب ولابد من وقوعك فى قبضتنا ولو كنت فى بروج مشيدة» (١١٤).

وقد ذكر فى رسالته الى السنوسى:

«.. ولايزال التأييد يزداد من الله ورسوله، وأنت منا على بال، حتى جاءتنا الأخبار فيك من النبى أنك من الوزراطى، ثم حصلت حضرة عظيمة عين فيها النبى خلفاء أصحابه من أصحابى، فأجلس أحد أصحابى على كرسى أبى بكر، وأحدهم على كرسى عمر، وأوقف كرسى عثمان فقال : هذا الكرسى لابن السنوسى الى أن يأتيكم بقرب أو طول ، وأجلس أحد أصحابى على كرسى عثمان فقال : هذا الكرسى لابن السنوسى الى أن يأتيكم بقرب أو طول ، وأجلس احد اصحابى على كرسى على رضوان الله عليهم اجمعين» (١١٥).

وهو فى هذه الوثائق قد اعترف بأنه سيملك العالم، وأن ملك مكة وأشرافها سيبايعونه، وأنه سيزحف الى مصر لازالة الخديو عن عرشه، وأن النبى صلى الله عليه وسلم أخبره بأن السنوسى سيكون من وزرائه وخلفائه، وخطورة الأمر فى هذه القضية أن (محمد احمد) ينسب أعماله وأقواله الى النبى صلى الله عليه وسلم، فهو لايفعل شيئاً الا بأمره، ولايصدر حكماً الا بإذنه، وقد كان أساس مهديته قائما على هذه الصلة، ولم تكن تنبؤاته الا اخبارا انه سمعه من الرسول أو بلغه، فاذا ثبت بالواقع أن هذه التنبؤات لم تصدق، أصبح الشك فى أساس «مهديته» قائماً، والأساس الذى قامت عليه هذه المهدية منهاراً.

ان «المهدى» كما تقول الأحاديث والروايات ، مولده فى المدينة، وقد ولد محمد احمد فى اقليم دنقله بالسودان، والمهدى يظهر بعد خسوف القمر أول ليلة من رمضان ، وبعد كسوف الشمس فى منتصفه، وقد أعلن محمد احمد

دعوته فى غرة شعبان، وجاء رمضان بعد ذلك من غير كسوف شمس ولاخسوف قمر، والمهدى مهاجرته بيت المقدس، ويظهر فى مكة عند صلاة العشاء ويبايع بين الركن المقام، يبايعه الغرباء، ثم ملك مكة وأشرافها - كما يقول محمد احمد نفسه - وقد مات قبل أن يرى مكة، والمهدى موعود بملك العالم ، وقد أكد ذلك محمد أحمد نقلا عن النبى صلي الله عليه وسلم ، وقد مات وعاش داخل حدود وطنه.

«والمهدى يفتح القسطنطينية وغيرها من المدن، وقد توفى محمد أحمد قبل أن يحقق نبؤته بالزحف الى القاهرة لخلع الخديو توفيق.

ومحمد أحمد يقول : أن النبى أخبره بأن السنوسى من وزرائه وخليفة عثمان ابن عفان فى مملكته، وقد مات محمد أحمد دون أن يتحقق شئ من هذا كله ورفض السنوسى حتى الرد على رسائله.

محمد أحمد اذن لم يكن هو «المهدى المنتظر » الذى تحدثت عنه الكتب والروايات.

و «المهدى» عند أهل السنة ليس شخصا معينا ولامعروفا، وقد كان محمد أحمد أو « المهدى السودانى» سنيا مالكيا، كما أن تصور محمد أحمد لمهديته ليس تصور مهدى الشيعة الذى غاب فى السرداب، وتنتظره أجيال الشيعة، انه ليس الامام الغائب الذى يعود، وانما هو بشر عادى ولد فى السودان، ونشأ كغيره من الناس، ثم اختارته العنايه الإلهية، كما يقول ، لهذه المهمة على غير انتظار منه. يقول :

«وحيث الأمر والمهدية المنتظرة أرادها الله واختارها للعبد الفقير محمد أحمد

ابن السيد عبد الله ، فيجب التسليم لأمر الله ورسوله» (١١٦).

محمد احمد اذن لم يكن هو «المهدى المنتظر» فى التصورين السنى والشيعى.

ثانياً : أن محمد أحمد، مهدى السودان، قد وقع باجتهاده في أخطاء كثيرة خرجت به عن التعاليم الأصلية، أولها وأخطرها أنه حكم مبدئيا بتكفير من يخالفه فى شئ، فهو يكرر دائما أن من شك فى مهدته فقد كفر بالله ورسوله، وأن من أطاعه فقد غفر الله ذنبه، مع أن أركان الايمان فى الاسلام، تلك التى ان انكر الانسان ركنا منها يعد كافرا، ليس فيها الايمان بالمهدى أو المهدية، ونتساءل هل يجوز لمحمد أحمد تكفير المخالفين له وحل دمهم مع أنهم يؤدون أركان الاسلام الخمسة. وهل يحق لفرد مهما كان مقامه، أن يكون حكما فى معتقدات الناس وأن يدخلهم في الاسلام أو يخرجهم حسب مقاييسه الخاصة؟.

والأخطر من هذا، أنه ينسب هذا الحكم للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم «وقد أخبرنى سيد الوجود بأن من شك فى مهديتك فقد كفر بالله ورسوله، وكررها صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات » (١١٧).

ومما زعمه – خطأ – على لسان الرسول، قوله فى حضرة تغيير اسمه من أحمد بن عبد الله الى محمد المهدى ابن عبد الله، وأن هذا بأمر من النبى وأسوة به، «حصلت أوامر من النبى بتغيير اسمى بمحمد المهدى فانه صلى الله عليه وسلم قال فى بعض حضراته : انى كنت اسم محمد، فلما بلغت الرسالة والنبوة سميت رسول الله ونبى الله، كذلك أنت كنت تسمى محمد أحمد فلما حصلت لك المهدية يقال لك محمد المهدى (١١٨).

وهذا كذب على رسول الله، وهو أفحش ألوان الكذب وفيه قال صلى الله وسلم :

«لاتكذبوا عل فانه من يكذب على يلج النار»، وفى رواية

«ان كذباً على ليس ككذب على أحد، فمن كذب على متعمدا فليتبؤا مقعده من النار » (١١٩).

ومن أخطائه التى وقع فيها باجتهاده محاولته بث العادات الاجتماعية الحميدة عن طريق الوعظ والقدوة والاجراء الأخير هو نقمة كثير من الأنظمة التى ترى أن الممارسات الاجتماعية يمكن ازالتها بالقمع، وترى أن مشكلة المجتمع فى فساده، وأن هذا الفساد يمكن أن يجتث بالسيف ليصلح أمر الرعية، ومن أمثلة ذلك أنه يرى أن من يشرب التنباك (فليؤدب حتى يموت أو يتوب) (ومن قال لأخيه ياكلب أو يا خنزير فيضرب ثمانين سوطا، ويحبس سبعة أيام)، وهو يرى أيضاً أن الزوج الذى يتخلف عن المهديه فالزواج باطل، والمرأة التى ينضم زوجها الى أعدائه فلا عدة عليها (١٢٠) ، وكان صارماً فى حجر النساء وحجابهن فمنع النساء من الخروج الى السوق والطرقات، ومن تخرج بعد ثلاثة أيام من التنبيه تجلد مائه جلده، والمرأه التى تقف كاشفة الرأس أو تتحدث بصوت عال تجلد سبعة وعشرن جلدة (١٢١)، وحرم سلام النساء على الرجال (١٢٢)، وحرم حتى خروج بنت الخامسة على أن يقوم «أهلها بسترها فان أهملوا عاقبوا بالجلد». (١٢٣).

ثالثاً : يقوم النظام السياسى عند محمد احمد، على فكرة «المهدى المنتظر»، فالمهدى هو امام القرن وخليفة رسول الله ، يظهر ليجدد الاسلام، ويرفع المذاهب والطرق ، ويعود الى الأصل، الى الكتاب والسنة، ولهذا أعلن محمد

احمد الغاء المذاهب والطرق، وأمر باحراق كل الكتب الا الكتاب الكريم والحديث الصحيح، وبعض كتبه، لأنه - فى زعمه - حمل مؤهلا لم يحمله أحد من المسلمن وهو التلق المباشر من الرسول صلى الله عله وسلم، والالهام الذى يجعله يصل الى الحكم الذى كان يصل اليه الرسول لو كان فى مكانه.

ورفضه للتراث يقوم ، فى رأيه، باعتبار أن التراث باعد بين الناس وبين الدين الحق لأن العلماء انشغلوا بالقشور وتركوا اللباب وأنساقوا مع الحكام وارتضوا بما أتوه من المظالم ، ووافقوهم على العمل بالقوانين الوضعية وتعطيل أحكام القرآن.

ولكن، هل يحق لمحمد أحمد، أن يشرع بمعزل عن المتون والشروح والمذاهب وأن يبطل الطرق الصوفية؟!

المهم هذا هو الأساس النظرى الذي قام عليه نظام الحكم فى المهدية، وهو الأساس الذى نادى به معظم دعاة التجديد فى العالم الاسلامي، فكلهم يزعمون العودة ال الأصول، اذ بغير هذا الزعم لايصبح لتجديدهم معنى ، ولكن العودة الى الأصول ليست ممكنة في كل عصر، واحراق محمد احمد، المهدي السودانى، للكتب كان خطوة غير موفقة، فهو فى أحكامه اللاحقة قال ببعض مما جاء فى تلك الكتب من أحكام، مما جعل حرقهاخطوة لاتخلو من تطرف، لأنه لايطيق رؤية الفكر المخالف، وتجدر الاشارة الي أن الغاء محمد أحمد المذاهب لم يقابل بمعارضه ولالحجج لأن السودان ، لم يعرف الخصومة بين المذاهب وصراعاتها، وكان غالب أهل السودان ومايزالون، من أهل السنة على المذهب المالكى، وقليل منهم كانوا شافعيه،

أما الغاء الطرق الصوفية فهو الذى أدى الى توتر، فمحمد أحمد «قد ظهر فى مجتمع تسيطر عليه الطرق الصوفية، وتستحوذ على القدر الأكبر من نشاطه الفكرى، وهو نفسه نشأ فى هذا الجو وصار من أخلص مريدى احدى الطرق وهى الطريقة السمانية، وفضلاً عن ذلك فانه قرأ في أدبيات التصوف وتشرب بها (١٢٤).

رابعاً : ليس هناك، من الناحة النظرية، حد فاصل ، عند محمد احمد بين الدين والدولة، بل من الواضح أن الدين عنده هو كل شئ ، وهو يجعل فى شموله التام لكل شئ ، النظم السياسية والادارية مجرد أدوات يباشر بها عمله، ولهذا نجده يرفض ان يكون نظامه نظام دولة بمعزل عن الدين، وقد وصف محمد احمد دعوته بأنها (أمر الهى) بمعنى أن الله تبارك وتعالى هو الموجه لها، وأنها (أمر دين) يقوم بالنصرة الدينية التى عن طريقها قصد حياة المجموعات البشرية، الأمر الذى يدل على أن المجتمع من عمل الانسان بحيث ينصلح أمره اذا اتبع الناس الأوامر الالهية، وتندك أركانه وتسؤ حالة اذا تخلوا عن تلك الأوامر واتجهت الأنفس الي المنافع الشخصية والمنازعات الدنيوية دون الأخروية.

ويتخذ، مهدى السودان، التقشف والزهد أساساً لفلسفته الاجتماعه ويجعلها محور المجتمع الذى ينادى به، واعتقد أن فيهما العلاج الناجع لمشكلات العالم، والحالة الت تردى اليها العالم الاسلامى، ذلك لأنه يرى أن الانسان ينبغى أن يترفع عن الفوائد المادية المباشره لما هو أقيم له فى رحاب الفضائل والقيم الدينية.

وقد كانت المهمة الرئيسية له هي خلق، مجتمع اسلامي سليم، وهو في نظره على نمط مجتمع الرسول وعهد الخلفاء الراشدين، وقد ألزم نفسه بأن يقفو أثر الرسول ، وأن يعيد سيرته الأولى.

ورغم أن محمد أحمد قد نفذ في قوة ووعى تعاليم السلفية، نراه قد أرسى فيما أرسى كثيراً من أسس الخرافة، منها رده على من سأله عن كراماته:

« . وقلتم اطلبوا من الله اظهار كرامة تدل على مهديتكم فاعلموا أننا لانطلب ذلك، فالايات لاتنفع المنكر الجاحد، واظهارها انما يكون بارادة الله تعالى لابتمني العباد، وليس علينا الا التبليغ والانذار كما قال تعالى : (وقالوا لولا أنزل عله آيه من ربه انما أنت منذر » (١٢٥)، وقال تعالى : (قل انما الايات عند الله) (١٢٦)، (وما على رسولنا الا البلاغ المبين) (١٢٧) ، فكذلك نحن ليس علينا الا التبليغ ولانطلب من الله اظهار أيه علي مهديتنا، بل نقف معه علي حد أدبنا وعبوديتنا، فان شاء أظهر آية، كما ظهر لكثير من المؤمنين المحبين نقش اسمنا عل بيض الدجاج وورق الأشجار حتى صار لهم ذلك سبباً في اليقين » (١٢٨).

خامساً : ونحن نسعى الى صياغة فلسفة اسلامية جديدة، ألا يدخل في هذا الطموح أن يكون الصوفي المسلم ايجابياً، معنياً بشئون دينه ومجتمعه، على أساس أن التصوف الحق، وكما يقول أستاذنا الدكتور أبو الوفا التفتازاني (١٢٩)، ليس هروباً من واقع الحياة، وانما هو محاولة من الانسان للتسلح بقيم روحية جديدة تعينه على مواجهة الحياة المادية، وتحقق له التوازن النفسي حتى يواجه مصاعبها ومشكلاتها، فالتصوف يجعل من هذه الحياة وسيلة لاغاية، يأخذ منها الانسان كفايته ولايخضع لعبودية حب المال والجاه،

ولايستعلى بهما على الآخرين ، وبهذا يتحرر تماما من شهواته وأهوائه، وبارادة حرة، وبهذا المفهوم يصبح التصوف ايجابياً لا سلبياً، مادام يربط بين حياة الانسان ومجتمعه.

ونحن واجدون هذه الايجابية، التى نطمح اليها، فى أكثر من جانب فى تصوف محمد أحمد السودانى :

أ - فهو يطلب من أتباعه أن يتركوا الملاهى الدنيوية، وأن يقبلوا على الذكر والأعمال التى تؤدى بهم الى نعيم الآخرة، مبيناً لهم مزايا ذكر الله تعالى والتفكر فى قدرته عز وعلا، وسرعة زوال الدنيا، وكيف أن متاعها امتحان للسعداء وتصفية لهم وأنها ترفع مكانتهم فى الآخرة، ويطلب منهم أن يرغبوا فى الله، وأن يعملوا لآخرتهم دون نظرٍ ال متاع الدنيا، وفى هذا يقول :

«أحبابى ، يا أنصار الدين، قال الله تعالى : (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لأيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض) (١٣٠) . ولاريب أن كلا منكم يجب أن يكون من أولي الألباب الذين أثنى الله عليهم بهذا الثناء الجميل، ومايتمني أحد أن يكون بليدا ذاهب العقل (١٣١).

والدنيا معروفة الفناء قريبة الانقضاء، وكل من التفت الي شئ منها فانما التفت الى نقصانه أو هلاكه، فلا تشتغلوا الا بما يقربكم الى الله، فان أيام العمر هى أيام الزاد، فمن غفل فيها خسر الدنيا، فانها ليست بدار، وهى زمن الاكتساب لقاء الله فى دار المآب، فلتكن همتكم، أحبابى، مراعاة سنة النبى صلى الله عليه وسلم، فمن سلكها فلابد أن يصل اليه فيوصله الى

السعـــادة الكبرى، ومـن سلك غيـرها من السكك هلك ولم ينفعه ماتمســك به (١٣٢).

وهو يقول ايضاً :

«وكلما ينقص العبد من الدنيا وينال التعب فيهايزيد به عند الله تعالي، لأن العبد اذا لم تكن له همة عالية فى اكتساب ماعند الله يبتليه الله فى الدنيا لينال الدرجة العليا التى لايبلغها بعمله وهمته، واذا كانت له همة لما عند الله يبتليه الله للزيادة» (١٣٣).

ب - وكان التمسك بالقرآن والسنة يقترن عنده بالاجتهاد فى فهم النصوص فهماً يراع حاجات المجتمع والمشاكل التي تواجه الناس ليكون التشريع نابعاً منها وحلاً عادلاً لهافنجده يخصص حيزاً كبيرا من منشوراته لا علان التشريعات الاقتصاديه والاجتماعة الجديدة، فكانت قراراته بتأميم كل المواضع ذات النفع العام وضمها لبيت المال، ويقرر أن منتوج الأرض يكون للذى قام بالزراعة وليس لصاحب الأرض ضريبة يأخذها منه وأن ممتلكات وأموال بيت المال تكون للجميع حسب الاحتياج.

ويضع تعليماته حول آداب التجارة والمعاملات العامة قائلا.

«يجب علي كل من بلغه هذا المنشور ويرى مافيه ان لايفترى على الله كذا، ولا يغش أحد ولايمكر ولايخادع ولاينقض عهدا ولا يحلف يمينا فاجره ولايبخس ميزانا أو مكيالاً ولا يطففه، وأن يتخذ بين ذلك سبيلا، ويلزم الصدق فى أخذه وعطائه وبيعه وشرائه وجميع معاملاته دون خيانه وغدر» (١٣٤).

جـ - وهو يحث على الشفقة على العباد ، ذاكرا ارتباط المسلمين ووحدتهم، ويمنع سل السيوف وهز السلاح وركوب الخيل فى أماكن السكن، فلا يصح أن يحمل أحد سيفه مباهياً مغروراً بقوته أو داعياً الى اخافة غيره من المسلمين وغير المسلمين، فالسيف، وهو رمز للقوة والبطش، يجب ألا يستخدم الا فى مقتضاه الحقيقى وهو الجهاد فى سبيل الله، وفى هذا يقول مخاطباً أتباعه.

«أحبابى، لايخفى أن الايمان يقتضى الاتصال وحسن الأفعال، والمؤمنون أولياء بعضهم بعضا، وما دام أن الله تعالى يخبر عن المؤمنين بأنهم أولياء بعضهم بعضا، والذى لاينطق عن الهوى يخبر بأن المؤمنين كالجسد الواحد، فمن كان مؤمنا بالله ويصدق برسالة رسول الله فليشفق على المؤمنين كشفقته على نفسه ، ومن جملة الشفقة على المسلمين أن لاتسل سيفك بينهم، خوف أذية أحد بلا عناية، ولا تهز سلاحك على أحد أبداً لئلا يخرج السلاح عن اليد بالغفلة، أو ينصل فيضر مؤمنا، ولا يكون سل السيوف الا فى مقتضاه ومحله وهو الجهاد فى سبيل الله، وليحذر أصحاب الخيول من اقتحام الاخوان المؤمنين واضرارهم فى ذلك، وعلى قدر مايمكنكم انصفوا المؤمنين وأزيلوا عنهم جميع الضرر» (١٣٥).

د - وتصوف محمد احمد، معتدل حين يستند فيه الى الكتاب والسنة، وعباراته التالية تؤكد هذا المعنى:

يقول : «لا يخفى على من نور الله بصيرته، وشرح صدره، أن الدين الذى يكون التمسك به ناجياً عند الله هو دين الاسلام الذ جاءنا به نبينا محمد ونزل به القرآن من الملك العلام، وماسوى ذلك من الأديان فضلال يدعو اليه الشيطان حزبه ليكونوا من أصحاب السعير» (١٣٦).

وهو يقول ايضاً :

«كل من نظر الى شئ دون الله، وأثر فى قلبه أنه ينفع أو يضر فقد أشرك فى الحقيقة، اذ أن كل ما سوى الله باطل. فمن نسب الى غيره عطاء أو منعا أو نفعا أو ضرا ، فقد ظلم بوضع الشئ فى غير موضعه، ونسب نعمة لغير من أنعم بها» (١٣٧).

واستمع اليه ايضا يقول :

«مذهبنا التوكل على الله ، حيث انه النافع والضار، وناصية كل شئ بيده ، بل لايخرج عن قدرته فلتة خاطر ولا لفتة ناظر» (١٣٨).

هذا ، وقد تمثلت فى حركته كل حركات الاصلاح فى عصره، وفى مقدمتها حركة محمد بن عد الوهاب الذى أخذ منه دعوته الى العقيدة الصحيحة، والعودة الى الكتاب والسنة، والتوجه الى الله تعالى وحده بالدعاء والعبادة.

ويكفى محمد أحمد السودانى قيمة أنه فجر فى السودان أكبر ثورة اسلامية فى القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى، فقد استطاع، وهو الصوفى البسيط ، أن يحرز انتصارات عديدة توجها بفتح الخرطوم.

لقد مزج محمد احمد بين الدين والحياة مزجا رائعا، فالإسلام هو الذى قاوم، والاسلام هو الذى جاهد، والاسلام هو الذى انتصر فى النهاية.

هوامش الدراسة

(١) «الآثار الكاملة للامام المهدي «المجلد الأول» ، جمع وتحقيق الدكتور محمد ابراهم أبو سليم ، ط ١ ، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٩٠ ص ٩٥.

(٢) انظر منشورات المهدى ، تحقيق الدكتور أبو سليم، بيروت، ١٩٦٩م، ص ٤٣، ٤٤، ٤٩ جـ ١.

(٣) ، (٤) الآثار الكاملة ، جـ ١ ، ص ٤٣٤.

(٥) منشورات المهدى، ص ٦٩ ، ٧٠جـ ١

(٦) راجع منشورات المهدية ، جـ ١ ، ص ٢١٨ - ١٠٠.

(٧) نفسه ، ص ٣٦ المنشور الصادر فى ٢٠من جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هـ .

(٨) صوفى وشاعر سوداني، ولد بقرية (أم طريفى) شمال الخرطوم فى عام ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥م، وتوفى بـ «طابت» سنة ١٣٣٣ هـ، وله نحو من خمسة وثمانن مؤلفاً شملت مختلف الدراسات من الفقة والتوحيد والنحو والتصوف والحكم والارشادات، وبعض هذه المصنفات مطبوع ، والبعض الآخر ما زال مخطوطاً، (راجع، الشيخ الجيلى عبد المحمود : « نفحة الرياض البواسم فى مناقب الأستاذ عبد المحمود نور الدائم ، ط ١ سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م).

(٩) عبد المحمود نور الدائم «أزاهير الرياض » ط ٣ ١٩٩٣ هـ / ١٩٧٣م، مكتبة القاهرة ، ص ٣١٢ - ٣١٣.

(١٠) هو الشيخ أحمد بن ادريس الفاسى مؤسس الطريقة الادريسية المنتشرة فى السودان ومصر وبلاد الصومال واليمن، وكان صاحب مدرسة بالاضافة الى كونه شيخ طريقة، وكان من تلامذه السيد محمد بن عل السنوسى الكبير وقد مات فى بلدة عسير باليمن سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧م أنظر كتاب سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى، بيروت ١٩٧٣م ، ص ١٠٢.

(١١) عالم جزائرى ، مؤسس السنوسية، ولد حوالى عام ١٧٨٧م، وتتلمذ على السيد أحمد بن ادريس الفاسى فى مكة، ثم عاد الى شمال افريقيا سنة

١٨٤١م، وقد أسس عدداً من الزوايا أشهرها زاوية الجغبوب، وانتشرت طريقته فى واحات الصحراء الكبرى وسلطنات افريقيا الوسطى، ترتكز دعوته على اقتفاء أثر السلف الصالح وارشاد أخوانه ومريديه الى الدين القويم الصحيح وطريقة الى ذلك التعليم والهداية والارشاد.

(راجع الدكتـــور محمد فؤاد شكرى السنوسية دين ودولـة (القاهـرة ١٩٤٨م) ص ٨).

(١٢) انظر فى هذا ، عز الدين الأمين، قرية كترانج وأثرها العلمى فى السودان، الخرطوم ، ١٩٧٥م، ص ٢١ ، الدكتـــور محمد سعيد القدال الامـام المهـدى (محمـد احمـد بـن عبـد اللـه) - مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٨٥م ص ٣٦ - ٣٧.

(١٣) حفيد الشيخ أحمد الطيب البشير، الذى أدخل الطريقة السمانية فى السودان، وخليفته ، توفى ١٩٠٨م.

(١٤) أظهر محمد أحمد فى فترة اتصاله بشيخه محمد شريف شغفاً شديداً بالعلم وميلاً طبيعياً الى التدين، وولاءً خالصاً لشيخه، فكان يقضى الليل متعبداً لاكفيره من المريدين، وقد وصف محمد شريف حال تلميذه (محمد أحمد) فى قصيدة مشهورة قال فيها :

«وكم صام وكم صلى، وكم قام كم تلا من الله مازالت مدامعه تجـرى

وكم بوضوء الليل كبر للضحـــــى وكم ختم القرآن فى سنة الوتر»

(راجع النص الكامل للقصيدة فى نعوم شقير : تاريخ وجغرافية السودان، - ٣ ص ٦٤٠ - ٦٤١).

وكان (محمد أحمد) اذا جلس أمام شيخه محمد شريف نكس رأسه ولم يرفع طرفه اليه الا اذا كلمه فيرفع طرفه بأدب واحترام، كما قام بالعديد من الأعمال اليدوية حتى الوضيع منها فى سعيه لاظهار المزيد من الذل تقربا لشيخه، وقد ذكرها شيخه فى قصيدته سالفة الذكر قائلاً.

«اقام لدنيا خادما كل خدمة تعز على أهل التواضع فى السير

كطحن وعوس واحتطاب وغيرها ويعطى عطا من لايخاف من الفقر.

(١٥) نعوم شقير، تارخ وجغرافية السودان، جـ ٣ ص ١١٥.

(١٦) يزعم أتباع محمد أحمد أن الخلاف يرجع الى غيرة محمد شريف من المكانه التى وصل اليها تلميذه (محمد أحمد)، وولا الناس له وتوقيرهم اياه، فى حين يزعم محمد شريف أن محمد احمد قد أفصح له عن مهديته، وأنه طرده بعد أن فشلت محاولاته عن اثنائه عنها.

(راجع نعوم شقير، جـ ٣ ص ١١٦ - ١١٨).

ومهما كان الأمر فان واقعة طرد محمد أحمد من طائفة الشيخ محمد شريف كانت أثر حفل أقامه الشيخ محمد شريف بمناسبة ختان أولاده وجمع فيه خلقاً كثيراً، وقد أخذ محمد أحمد عليه ذلك لكونه دليلا على انشغاله بالظاهر، كما أنكر عله اجازه الرقص والطرب واجتماع الرجال والنساء في ذلك، وأعلن أن ذلك بدعة وفساد حتى وان كان صاحبه شيخ طريقة.

(١٧) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم : الحركة الفكرية فى المهدية، دار الجيل بيروت ، ط ٢ ١٩٨١م ص ١٦.

١٨ - محمد بن عبد المجيد بن محمد السراج : شقائق النعمان في حياة المهدى ووقائع السودان، القاهرة ، سنة ١٣٦٦ هـ ، ص ٩٧.

١٩ - وقد قام الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم بتحقيق ونشر هذه الأعمال، ظهر له كتاب «منشورات المهدية» بيروت ١٩٦٩م الذى حقق فيه عدداً من منشورات المهدى وبعض رسائل خليفته، وكتب له مقدمة ضافية أثار فيها كثيرا من القضايا عن حركة المهدية والنظرة الاسلامية لمفهوم الخلافة والامامة والهجرة.

- ونشر مخطوط اسماعيل عبد القادر الكردفان : «سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى» ، بيروت ١٩٧٣م.

- وكتب أيضا عن « الحركة الفكرية فى المهدية» ، الخرطوم ١٩٧٠م.

- وله كتاب « المصادر الأولية لفترة المهدية » ، المؤتمر الثاني، شعبة أبحاث السودان، جامعة الخرطوم، السابع ال الثامن عشر ديسمبر ١٩٧٠م.

وقام أخيرا بنشر «الآثار الكاملة للامام المهدى» ، ظهر الجزء الأول منها ١٩٩٠م عن دار جامعة الخرطوم للنشر.

(٢٠) حوليات كلية ابراهم باشا، المجلد الثانى ، العدد الثانى، ص ١٤٤.

(٢١) Wingate, F. R. Mahdism An The Angle - Egyptian Sudan, London, 1968 P. 13.

(٢٢) انظر ذلك فى باب التفاسير في مجالس الطاهر التاتا، مخطوط بدار الوثائق المركزه بالخرطوم، وتحقيق الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم لمخطوط توشكى (النجومى) رسالة دكتوراه (مخطوط) جامعة الخرطوم ١٩٦٦ ص ٣٩٨ - ٤٠٤.

(٢٣) ، (٢٤) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، بيروت ١٩٦٧م، ص ٥٥٥ - ٥٧٥ وقد أورد ابن خلدون جملة كبيرة من هذه الأحاديث وشكك فى صحتها، وقال فى نهايتها : «فهذه جملة الأحاديث التى خرجها الأئمة فى شأن المهدى وخروجه آخر الزمان، وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد الا القليل والأقل منه » ونلاحظ أن ابن خلدون سماه (الفاطم)، نظراً الى أن الفواطم ، أى الشيعة هم أسبق الفرق إلى الفكرة وأكثرهم حماساً لها.

(٢٥) الدكتور حسين مؤنس : وثائق عن مهدى السودان، ص ١٤٠.

(٢٦) الآثار الكاملة، جـ ١ ، ص ١٣٥.

(٢٧) نفس المصدر، جـ ١ ، ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٢٨) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٢٩) سورة الأنعام ، الآية ٥٩.

(٣٠) سورة آل عمران ، الآية ٧٤.

(٣١) الآثار الكاملة، جـ ١ ، ص ١٣٦.

(٣٢) انظر هذا فى : نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، القاهرة ١٩٠٣م، جـ ٣ ، ص ٧٢.

Theobold , A.B : The Mahdia (London 1959) P. 29.

والشاطر بصيلى عبد الجليل : معالم تاريخ سودان وادى النيل من القرن العاشر الى القرن التاسع عشر الميلادى ، القاهرة ١٩٥٥، ص ١٦٤ ومابعدها.

Holt, P.M. , A Modern history of the Sudan From the Fnnj Sultanate to the present day (London 1961) P. 76.

(٣٣) سورة الأنفال ، الآية ٢٤ .

(٣٤) الآثار الكاملة ، جـ١ ، ص ١٣٦ .

(٣٥) نفس المصدر ، جـ١ ، ص ١٣٧ ، ١٤١ - ١٤٢ .

(٣٦) أنظر ذلك في : ابراهيم فوزي ، السودان بين غوردون وكتشنر ، القاهرة ١٣١٩هـ ، ص ٨٥ ، جغرافية وتاريخ السودان ، جـ ٣ ص ٩٥٠ ، جورجي زيدان : تاريخ مصر الحديث ، جـ٢ ص ٢٨٣ .

(٣٧) Slatin, R. C. (Von). Fire and Sword in the Sudan (tr, by F. R. Wingate London, 1896, P. 119)

(٣٨) الآثار الكاملة ، جـ١ ، ص ٧٨ .

(٣٩) ذكر محمد أحمد ابن عربي وكتابيه « الفتوحات المكيه » وتفسيره على القرآن العظيم ، أكثر من مرة في مصنفاته .

والتأمل المشهد الذي قصه علينا محمد أحمد والذي تحدث فيه عن تنصيب النبي صلى الله عليه وسلم اياه مهدياً وحضره الخلفاء الراشدون والأقطاب والخضر عليه السلام وأعيان سادات الطرق الصوفيه التي كانت منتشرة في السودان في ذلك الوقت ، ينتهي الى أن محمد أحمد اطلع بالفعل على كتابات ابن عربي ، وخاصة الفتوحات المكية ، لأن الشبه واضح جداً بين المشهد الذي تحدث عنه محمد أحمد وبين مشاهد المكاشفات التي يصفها ابن عربي في كتابه هذا ، خاصة ومحمد أحمد يصف المشهد بأنه « حضرة » وهو لمصطلح يكاد يكون خاصا بابن عربي .

(أنظر الآثار الكاملة ، المجلد الأول ، طـ١ ص ٧٧ - ٨١ ، ١٣٧ ، ١٤١) .

(٤٠) الفتوحات المكية ، جـ٣ ص ٣٢٧ .

(٤١) نفسه ، جـ٣ ص ٣٢٧ .

(٤٢) نفسه ، ص ٣٢٨ .

(٤٣) نفسه ، ص ٣٢٩ .

(٤٤) الفتوحات المكية ، جـ ٣ ص ٣٣٢ .

(٤٥) نفسه ، ص ٣٣٥ .

(٤٦) ولابن عربى كاب آخر سماه « عنقاء مغرب » تكلم فيه عن ختم الولاية الذى يجعله اسمى مراتب الأولياء .

(٤٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٣٨ .

(٤٨) الملل والنحل ، جـ١ ، ص ١٤٦ نقلا عن الدكتور أبو الوفا الغنيمى التفتازانى ، « علم الكلام وبعض مشكلاته » ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ٧٤ -٧٦ .

(٤٩) ظهر الاسلام جـ٤ ص ١١٠ الطبعة الخامسة ١٣٨٨ هـ .

(٥٠) نفس المصدر ، ص ١١٣ .

(٥١) النظريات الاسلامية السياسية ص ١٥٠ .

(٥٢) الفخر الرازى ، كتاب الأربعين فى أصول الدين ، ص ٤٢٩ طبعة حيدر آباد ١٣٥٣هـ .

(٥٣) نفس المصدر ، ص ١٥٠ .

(٥٤) الشهرستانى ، الملل والنحل ، تحقيق سيد كيلانى ، القاهرة ، ١٩٦١ ، جـ١ ص ١٠٣ ، ١٤٦ ، محمد حسين آل كاشف الغطاء ، « أهل الشيعة وأصولها » القاهرة ١٩٥٨ م ، ط ١٠ ص ١٠٩ وما بعدها .

(٥٥) فهو يؤكد فى منشوراته ، وكما سبق ، أن مهديته جاءت بأمر من الله ، والأمر صادر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وأنه معصوم ، وأن من شك فى كل هذا فقد كفر (الآثار ، جـ١ ص ١٣٥ - ١٣٨ ، ١٤٠ - ١٤٣) .

(٥٦) أصله من الأشراف ، وقد قدم جده من الحجاز ، تلق علومه فى مصر والحجاز وعاد الى السودان فى سنة ١٨٤٠م . وعند اعلان المهدية اتصل به محمد أحمد ووافقه ثم هاجر اليه وسار معه حتى توفى بالرهد فى ٢٣ رجب ١٣٠٠هـ / ٣٠ مايو سنة ١٨٨٣م .

(٥٧) ، (٥٨) الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم ، المرشد الى وثائق المهدى ، جامعة الخرطوم ، ١٩٦٩ ، رقم ٤٤ ، ١١٢ .

(٥٩) نفس المصدر ، رقم ٦٦٤ .

(٦٠) المرشد رقم ٨٧٥ .

(٦١) نفسه ، رقم ٨٧٩ .

(٦٢) عبد الله التعايشى ، ولد سنة ١٨٤٦م ، وهو من قبيلة التعايشة فى جنوب غرب دارفور ، هاجر الى الجزيرة بعد وفاة والده وهناك التقى بمحمد أحمد وصدق بدعوته واشترك معه فى حروبه ، لعب دوراً بارزاً فى « المهدية » حتى أن البعض كان يعتبره صاحب الفكرة والدعوة . وقتل فى « أم دبيكرات » فى ٢٤ نوفمبر عام ١٨٩٩م .

(٦٣) منشورات المهدية ، ص ٤٨ .

(٦٤) نفس المصدر ، ص ٢٣٢ .

(٦٥) نفسه ، ص ٣١٥ .

(٦٦) نفسه ، ص ٣١٧ – ٣١٨ ، والآثار الكاملة ، جـ١ ، ص ٤٣٤ .

ويلخص خليفته (عبد الله التعايشى) رأيه فى العلماء جميعاً بقولته الشهورة « مثل العالم بين أصحاب المهدى مثل الشجرة وسط الزرع ، تأوى اليها الطير الذى يفسد الزرع ، فلا يستريح الزارع حتى يجتثها من أصلها » (نعوم شقير ، تاريخ السودان ، جـ١ ، ص ٥٦٣) .

(٦٧) ، (٦٨) ابراهيم فوزى ، السودان بين يدى غردون وكتشنر ، ص ٩٢ ، جـ١ .

الدكتور مكى شبيكة : «السودان عبر القرون» بيروت ١٩٦٥ م ، ص ٣٥٩.

(٦٩) جمعها « تمد » وهى حفرة يتجمع فيها الماء .

(٧٠) راجع منشورات المهدية ، ط ٢ دار الجيل بيروت ١٩٧٩م ، ص ١٨١ ، ٢٠٠، ٢١٠ ، ٢٥٢ ، ٢٨٣ .

(٧١) أنظر فى هذا : الحسن سعد محمد العبادى (ت ١٩٠٧م) : « الأنوار السنية الماحية لظلام المنكرين على الحضرة المهدية » مطبعة المهدية ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م ، ص ١٨ ، ٤٢ ، ٧٨ ، اسماعيل عبد القادر الكربفانى (ت ١٣١٦ هـ / ١٨٩٧م) : « سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى » تحقيق الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم ، دار الجيل - بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٨١ - ٨٢ .

(٧٢) ومن هؤلاء « الحسين ابراهيم زهرا (ت ١٨٩٤م) الذى يقول فى رسالته : «ان المهدى يعتبر معبرا عما يلقيه الله اليه من كلام ، فيستفاد من هذا أن جملة المنشورات الصادرة منه عليه السلام ترجمة عن كلام الله تعالى الذى يلقيه اليه فى قلبه ، وأن أرواح تلك المنشورات كلام الله تعالى ، فيجب حينئذ وجوباً مؤكداً العمل بذلك وجعله فى المرتبة العالية من الاعتبار له والاعتناء به ونقله وحفظه لما علمت أن روحه كلام الله تعالى »

(الحسين زهرا : « الآيات البينات فى ظهور مهدى آخر الزمان وغاية الغايات » مطبعة المهدية ، ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م ، ص ١٣ - ١٤ .

(٧٣) ولكن هذه الحجية خاصة به ولا يكون لغيره ، وقد انتهت بوفاته ، فماذا يكون الوضع ؟

(٧٤) لقد نظر ابن تيمية فوجد أن طرائق العلماء فى فهم العقائد الاسلامية تنقسم الى أربعة أقسام :

الأول : الفلاسفة ، وهؤلاء يقولون : ان القرآن جاء بالطريقة الخطابية

والمقدمات القناعية التي تقنع الجمهور ، ويدعون في رأيه - أنهم أهل البرهان واليقين ، والعقائد طريقها البرهان واليقين .

والقسم الثاني : المتكلمون ، وخاصة « المعتزلة » وهؤلاء يقدمون قضايا عقلية قبل النظر في الآيات القرآنية ، وهم يأخذون بالنوعين من الاستدلال ولكن يقدمون النظر العقلي على الدليل القرآني .

والقسم الثالث : طائفة من العلماء تنظر الى ما في القرآن من عقائد فتؤمن به ، وبما فيه من أدلة ، فتأخذه لا على أنه أدلة مادية مرشدة موجهة ، بل على أنها آيات اخبارية يجب الايمان بما اشتملت عليه من غير أن يتخذ مضمونها مقدمة الأستنباط العقلي .

والقسم الرابع : قسم يؤمن بالقرآن - عقائده وأدلته - ولكنه يستعين بالأدلة العقلية بجوار الأدلة القرآنية . (انظر في هذا الموضوع : محمد أبو زهره تاريخ المذاهب الاسلامية ، جـ١ ص ٢٣٦) .

(٧٥) محمد أبو زهرة : « تاريخ المذاهب الأسلامية » ، جـ١ ص ٢٣٧ .

(٧٦) ابن تيمية : « قاعدة جليلة التوسل والوسيلة » ط المكتب الاسلامي - ١٣٩٠ هـ ص ١٥٨ .

(٧٧) ابن تيمية : « الواسطة بين الخلق والحق » ، ط المكتبة العلمية - لاهور ، ص ١٩ .

(٧٨) نفس المصدر ، ص ٢١ .

(٧٩) ابن تيمية : « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » ، ص ١١١ .

(٨٠) نفسه ، ص ١٥٤ .

(٨١) ابن تيمية : « النبوءات » ، ط المكتب الاسلامي - ١٣٩٢هـ ، ص ١٧٠ .

(٨٢) راجع ، محمد بن عبد الوهاب ، القسم الأول من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، « العقيدة والآداب الاسلامية » ، والقسم الخامس « الرسائل

الشخصية » ، نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، اقبال : «تجديد الفكر الديني في الاسلام ، ط القاهرة ، ص ١٧٥ .

(٨٣) محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الاسلامية ، جـ١ ، ص ٢٥٣ .

(٨٤) اقبال : « تجديد الفكر الديني في الاسلام » ، ص ١٧٧ .

(٨٥) اسمه عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح ، ويعرف باسم دان فوديو ، أي ابن الفقيه ، ومن الألقاب التي تلقب بها نور الزمان ، ومجدد الاسلام ، والشيخ في نيجيريا . ولد سنة ١١٦٩ هـ ، وفي سنة ١٢١٥ هـ بدأ دعوته الى الاصلاح ، ومنهجه فيها العودة بالاسلام الى ما كان عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وأثمرت هذه الدعوة انشاء امبراطورية اسلامية في أقاليم نيجيريا وما حولها من البلاد ، واتخذ لقب أمير المؤمنين ، توفي سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٧م .

(٨٦) محمد بلو بن عثمان بن فودى : « اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور » طبع دار الشعب ، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م ص ٥٨ - ٦٠ ، حسن أحمد محمود : « دور العرب في نشر الحضارة في غرب افريقيا » ، المجلة التاريخية المصرية العدد ١٤ ، ١٩٦٨م ص ٩٤ .

(٨٧) محمد بلو بن عثمان بن فودى : « اتفاق الميسور » ، ص ٦٥ ، منشورات المهدية ، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم ، دار الجيل - بيروت لبنان ، جـ١ ، ١٩٧٩م ، ص ٣٣٦ .

(٨٨) منشورات المهدية ، المنشور الصادر في ٦ من صفر ١٣٠١ هـ .

(٨٩) الآثار الكاملة ، جـ١ ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٩٠) سورة المائدة ، الآيتين ٦٥ - ٦٦ .

(٩١) سورة آل عمران ، الآية ١٩ .

(٩٢) سورة آل عمران ، الآية ٨٥ .

(٩٣) منشورات المهدية ، جـ٢ ، ص ٢٧٧ .

(٩٤) نفسه ، جـ٢ ، ص ٢١٩ .

(٩٥) سورة يونس ، الآية ١٠٧ .

(٩٦) سورة فاطر ، الآية ٢ .

(٩٧) منشورات المهدية ، جـ١ ، ص ٤٦ .

(٩٨) راجع محمد بن عبد الوهاب ، « كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد» ، ص ٣٨ وما بعدها ، وكتاب « ثلاث رسائل فى العقيدة الاسلامية» له أيضا ، ص ٤٠ .

(٩٩) منشورات المهدية ، جـ١ ص ٤٦ - ٤٧ .

(١٠٠) اسماعيل بن عبد القادر الكربفانى ، « سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى » ، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ١٩١ .

(١٠١) محمد بن عبد الوهاب ، كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ، ص ٩٩ وما بعدها .

(١٠٢) منشورات المهدية ، المنشور الصادر فى رجب ١٣٠١ هـ .

(١٠٣) كتاب التوحيد ، ص ٢٧ وما بعدها .

(١٠٤) التمائم ، شيئ يطق على الأولاد من العين ، والرقى : وهى التى تسمى العزائم ، والتولة شيئ يصنعونه ويزعمون أنه يحبب المرأة الى زوجها .

(١٠٥) نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان (بيروت - ١٩٧٢م) جـ ٣ ، ص ٦٤١ وما بعدها .

(١٠٦) سورة القصص ، الآية ٥٠ .

(١٠٧) ابن تيمية : « العبودية » ، ص ٧١ ، محمد بن عب الوهاب ، مسائل الجاهلية ، ط٢ ، المطبعة السلفية ، ١٣٧٦هـ القاهرة ، ص ١١٥ .

(١٠٨) من المعروف عن الصوفية أنهم يبيحون السماع ، ولا يرون فيه غضاضة على الاطلاق ، وقد أفاض الغزالى (ت ٥٠٥هـ) فى شرح هذه القضية فى كتابه الاحياء حيث قال : « اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه : أن الله تعالى يعاقب عليه ، وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل ، بل بالسمع ، ومعرفة الشرعيات محصورة فى النص أو القياس ، وأعنى بالنص ما أظهره صلى الله عليه وسلم بقوله أو فعله ، وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله ، فان لم يكن فيه نص ، ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه ، وبقى فعلاً لا حرج فيه كسائر المباحات » (أحياء علوم الدين ، جـ٤ ، ص ١١٢٤ وما بعدها ، ط الشعب - القاهرة) . ويقول ابن عربى (ت ٦٣٨هـ) : « وأما مذهبنا فيه ، فان الرجل المتمكن من نفسه لا يستدعيه ، واذا حضر لا يخرج بسببه ، وهو عندنا مباح على الاطلاق ، لأنه لم يثبت فى تحريمه شيئ عن رسول الله » .
(الفتوحات المكية ، جـ٢ ، ص ٣٦٨) .

(١٠٩) المعازيف ، يقصد بها آلات العزف الموسيقية ، والدلاليك ، جمع دلوكة وهى الطبلة بلغة أهل السودان .

(١١٠) منشورات المهدية ، المنشور الصادر فى ١٧ من ذى الحجة ١٣٠٠ هـ ، ص ٩٤١ وما بعدها .

(١١١) أنظر فى هذا الموضوع :
- سنن ابن ماجة الحديث رقم ٤٠٨٢ ، ٤٠٨٣ جـ٢ ،
- سنن الترمذى الحديث رقم ٢٢٣٢ جـ ٤ ،
- سنن أبى داود الحديث رقم ٢٢٨٤ ، ٤٢٨٤ جـ ٤ ،
- سنن الامام أحمد الحديث رقم ٧٧٣ جـ ٢ .

(١١٢) الآثار الكاملة ، جـ٢ ، ص ٨١ .

(١١٣) منشورات المهدى ، جـ٢ ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(١١٤) نفس المصدر ، ص ٢٨٤ .

(١١٥) منشورات المهدى ، جـ٢ ، ص ٧١ .

بدأ محمد أحمد ما يسمى بتنظيمات الخلفاء الأربعة ، بعد استسلام مدينة الأبيض له ، فاحتل (عبد الله التعايشى) خلافة سيدنا أبى بكر الصديق ، واحتل مكان خلافة سيدنا عمر بن الخطاب (على ودحلو) من سكان منطقة الجزيرة أبا ، وكان فقيها يدرس القرآن فى خلوة محمد أحمد عندما كان بتلك الجزيرة قبل أن يعلن مهديته ، وجلس على كرسى سيدنا على بن أبى طالب ابن عمه محمد شريف وقد تزوج بنت محمد أحمد ! ووجه الشبه ظاهر ، ورأى محمد أحمد أن يقدم مقام سيدنا عثمان بن عفان لمحمد السنوسى فى ليبيا ، فكتب له كتاباً ولم يصله رد عليه ، وأردفه بثان بتاريخ ٥ رجب سنة ١٣٠٠ هـ ، ويقول نعوم شقير « ان هذا الخطاب الثانى ارسل مع طاهر اسحق الزغاوى الى واحة جغبوب ، فلم يجبه السنوسى على كتابه بل قال للرسول شفاهاً : قل لمحمد أحمد أننا كلانا لا نساوى التراب الذى كان يطأه عثمان بن عفان » . راجع شقير : جغرافية وتاريخ السودان ص ٧٠٧ وما بعدها .

والغرض السياسى من توزيع الخلافة على هذا النحو واضح ، فلقد أراد محمد أحمد ارضاء قطاعات المجتمع السودانى المنضوية فى حركته ، فجعل لأهل كل اقليم خليفة خاصاً بهم ، كما عين لكل خليفة راية مميزة بلون معين .

(١١٦) الآثار الكاملة ، المجلد الأول ، ص ٩٦ .

(١١٧) نفس المصدر ، ص ١٣٧ .

(١١٨) الآثار الكاملة ، جـ١ ، ص ٢٢١ .

(١١٩) صحيح مسلم بشرح النووى ، المجلد الأول ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، ص ٦٥ ، بدون تاريخ .

(١٢٠) المرشد الى وثائق المهدى ، وضع محمد ابراهيم أبو سليم ، الخرطوم ، ١٩٦٧م ، ص ١٨٥ ، ١٩٩ .

(١٢١) المرشد ، ص ١٩٧ .

(١٢٢) نفسه ، ص ٢٩٨ .

(١٢٣) نفسه ، ص ٣٠٢ .

(١٢٤) الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم ، الحركة الفكرية فى المهدية ، ط ٣ ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(١٢٥) الرعد : آية ٧ .

(١٢٦) الأنعام : آية ١٠٩ .

(١٢٧) الحق محمد أحمد الآية بما قبلها ، ولذلك لا يستقيم أولها مع الآية وهى «فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين» .

المائدة : آية ٩٢ .

(١٢٨) الآثار الكاملة : المجلد الأول ، ص ١٢٦ .

(١٢٩) الدكتور أبو الوفا التفتازانى ، مدخل الى التصوف الاسلامى ط ٣ دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩١م ، ص جـ من التقديم .

(١٣٠) آل عمران : ١٩٠ - ١٩١ .

(١٣١) الآثار الكاملة ، المجلد الأول ، ص ٣٩٧ .

(١٣٢) نفس المصدر ، ص ٣٩٩ . ولعلنا نجد الصلة بين محمد أحمد فى عبارته هذه ، وعبارة الجنيد (ت ٢٩٧ هـ) التى يشير فيها الى منهجه فى التصوف، وهو منهج يستند الى الكتاب والسنة بشكل ظاهر ، : « الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه

وسلم واتبع سنته والزم طريقته ، فان طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه »
طبقات السلمي ، ص ١٥٩ نقلا عن الدكتور أبو الوفا التفتازاني ، مدخل
الى التصوف الاسلامي، ط ٣ ، ١١٣ .

(١٣٣) الآثار الكاملة ، المجلد الأول ، ص ٤١٣ - ٤١٤ .

(١٣٤) راجع الآثار الكاملة ، جـ١ ، ص ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤٣٢ ، ٤٤٧ .

(١٣٥) نفس المصر ، جـ ١ ، ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(١٣٦) منشورات المهدية ، جـ ٢ ، ص ٢٧٧ ، ٣١٩ .

(١٣٧) نفس المصدر ، المنشور الصادر فى ٦ من صفر ١٣٠١ هـ .

(١٣٨) منشورات المهدية ، المنشور الصادر فى رجب ١٣٠١ هـ .

مراجـــع الدراســـة

(أ) المراجع العربية :

١ - ابراهيم فوزى :

السودان بين يدى غوردون وكتشنر ، القاهرة ، ١٣١٩ هـ .

٢ - ابن تيمية :

قاعدة جليلة التوسل والوسيلة ، ط المكتب الاسلامى ١٣٩٠هـ .

٣ - ابن تيمية :

الواسطة بين الخلق والحق ، ط المكتبة العلمية - لاهور - بدون .

٤ - ابن تيمية :

العبودية ، ط المكتب الاسلامى ١٣٩٢هـ .

٥ - ابن خلدون ، عب الرحمن :

المقدمة ، بيروت ١٩٦٧م .

٦ - ابن عربى ، محيى الدين :

الفتوحات المكية ، جـ ٣ ، دار صادر - بيروت - بدون .

٧ - أبو الوفا الغنيمى التفتازانى (الدكتور) :

علم الكلام وبعض مشكلاته ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

٨ - أبو الوفا الغنيمى التفتازانى (الدكتور) :

مدخل الى التصوف الاسلامى ، ط ٣ ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩١م .

٩ - أحمد أمين :

ظهر الاسلام ، جـ ٤ ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٣٨٨ هـ .

١٠ - اسماعيل عبد القادر الكردفانى :

سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى ، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم ، دار الجيل - بيروت ١٩٧٣م .

١١ - الحسن سعد محمد العبادى :

الأنوار السنية الماحية لظلام المنكرين على الحضرة المهدية ، مطبعة المهدية ، ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٧م .

١٢ - حسن أحمد محمود (الدكتور) :

دور العرب فى نشر الحضارة فى غرب افريقيا ، المجلة التاريخية المصرية، العدد ١٤ ، سنة ١٩٦٨م .

١٣ - الحسين ابراهيم زهرا :

الآيات البينات فى ظهور مهدى آخر الزمان وغاية الغايات ، مطبعة المهدية ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م .

١٤ - حسين مؤنس (الدكتور) :

وثائق عن مهدى السودان ، حوليات كلية الآداب (ابراهيم باشا) ، المجلد الثانى ، العدد الثانى .

١٥ - الشاطر بصيلى عبد الجليل :

معالم تاريخ سودان وادى النيل من القرن العاشر الى القرن التاسع عشر الميلادى ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

١٦ - الشهرستانى :

الملل والنحل ، تحقيق سيد كيلانى ، جـ ١ ، القاهرة ، ١٩٦١م .

١٧ - عبد المحمود نور الدائم :

أزاهير الرياض ، ط ٣ ، مكتبة القاهرة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

١٨ - عز الدين الأمين :

قرية كترانج وأثرها العلمى فى السودان ، الخرطوم ، ١٩٧٥م .

١٩ - الغزالى (أبو حامد) :

احياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ط الشعب ، القاهرة - بدون .

٢٠ - محمد ابراهيم أبو سليم (الدكتور) :

تحقيق مخطوط توشكى (النجومى) ، رسالة دكتوراه ، مخطوط ، جامعة الخرطوم ١٩٦٦ .

٢١ - محمد ابراهيم أبو سليم (الدكتور) :

الحركة الفكرية فى المهدية ، دار الجيل بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١م .

٢٢ - محمد ابراهيم أبو سليم (الدكتور) :

المرشد الى وثائق المهدى ، جامعة الخرطوم ، ١٩٦٩م .

٢٣ - محمد أبراهيم أبو سليم (الدكتور) :

المصادر الأولية لفترة المهدية ، المؤتمر الثانى ، شعبة أبحاث السودان جامعة الخرطوم ، السابع الى الثامن عشر ، ديسمبر ١٩٧٠م

٢٤ - محمد أحمد بن عبد الله (المهدى السودانى) :

الآثار الكاملة ، جمع وتحقيق الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم ، المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ١٩٩٠م .

٢٥ - محمد أحمد بن عبد الله (المهدى السودانى) :

منشورات المهدى ، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم ، بيروت ، ١٩٦٩م .

٢٦ - محمد اقبال (الدكتور) :

تجديد الفكر الدينى فى الاسلام ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

٢٧ - **محمد بلو بن عثمان بن فودى :**

اتفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور ، طبع دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .

٢٨ - **محمد بن عبد المجيد بن محمد السراج :**

شقائق النعمان فى حياة المهدى ، ووقائع السودان ، القاهرة ، سنة ١٣٦٦م .

٢٩ - **محمد بن عبد الوهاب :**

القسم الأول من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب « العقيدة والآداب الاسلامية » ، و« القسم الخامس - الرسائل الشخصية ، نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - بدون .

٣٠ - **محمد حسين آل كاشف الغطاء :**

أهل الشيعة وأصولها ، القاهرة ١٩٥٨م ، ط ١٠ .

٣١ - **محمد سعيد القدال (الدكتور) :**

الامام المهدى ، جامعة الخرطوم ، ١٩٨٥م .

٣٢ - **محمد فؤاد شكرى (الدكتور) :**

السنوسية دين ودولة ، القاهرة ، ١٩٤٨م .

٣٣ - **مكى شبيكة (الدكتور) :**

السودان عبر القرون ، بيروت ، ١٩٦٥ .

٣٤ - **نعوم شقير :**

تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافية ، جـ ٣ ، القاهرة ، ١٩٠٣م .

(ب) المراجع الانجليزية :

35 - Holt, P.M., A modern History of the Sudan From the Funj Sultante to the present day, London, 1961.

36 - Slatin, R. C. (Von) : Fire and Sword in the Sudan, tr, by F. R. Wingate, London, 1890 .

37 - Theobold, A. B. :The Mahdia, London 1959 .

38 - Wingate, F. R. : Mahdism and The Angle Egptian, Sudan, London 1968 .